لطائف وأسرار
خصوصيات الرسم العثماني
للمصحف الشريف

تأليف
الدكتور/ عبد العظيم المطعني
أستاذ الدراسات العليا
بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الجزء الثاني



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

ب- زيادة ونقص الياء

١- زيادة الياء

باستقراء كلمات القرآن الكريم؛ لم تأت (الياء) زائدة إلا في تسعة مواضع وكلها أسماء لا أفعال فيها.

وكل موضع منها لم تأت الزيادة فيه خالية من الدلالة على اللطائف والأسرار التي عرفنا الكثير منها في نقص الواو أو حذفه، وقبل الدخول في التفاصيل نشير إلى أن القدماء بعد ذكرهم للمواضع التسعة، التي زيدت فيها الياء، لم يبينوا ما في كل موضع من اللطائف، بل اكتفوا بالنص على بعض منها، وسكتوا في بعض آخر[١]، وها نحن أولا نذكر مواضع زيادة (الياء) حسب ترتيب السور في المصحف الشريف، وعلى هدى ما ذكروه من قواعد عامة نتلطف في اقتناص لطائف ما سكتوا عنه، ومن الله التوفيق والسداد.

الموضع الأول:

قال تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/٣٨٦).

فقد جاء (الياء) مزيدًا بين الهمزة الثانية وبين حرف (النون) وهي في الرسم الخطي العام ترسم هكذا «إن» وهي أداة الشرط المعروفة.

أما الهمزة الأولى في ﴿أَفَإِيْن﴾ فهي همزة الاستفهام الإنكاري[٢].

وكان الأصل أن يقال: «فأَإن» فالفاء حرف عطف والهمزة بعدها للاستفهام، ولما كانت أدوات الاستفهام لها الصدارة في الكلام، قُدمت همزته هنا على الفاء ليصبح التركيب هكذا «أفإين»[٣].

أما لماذا زيدت (الياء) هنا؟ فإن حاصل ما ذكروه في توجيه هذه الزيادة هو الأصل في أساليب الشرط، وهو ترتب الجواب على فعل الشرط في الوجود؛ لأن بين الشرط وجوابه رابطة السببية.

مثال ذلك «إذا» في قوله تعالى:

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾

(النصر: ١- ٣)

فعل الشرط هنا هو «جاء نصر الله» وما عطف عليه «والفتح، ورأيت الناس».

---

(٢) الدر المصون، للسمين الحلبي (٣/٤١٦).

(٣) المرجع السابق.

أمـا جواب الشـرط فهو «فسـبح بحمـد ربك» ومـا عُطف عليه «واستغفره».

ومثاله «إن» في قوله تعالى:

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

(التوبة: ٥)

فعل الشرط في الآية الكريمة هو «تابوا» وما عُطف عليه: «وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة»، وجواب الشرط هو: «فخلوا سبيلهم».

هذا هو الأصل في أساليب الشرط جميعًا.

وإذا تأملنا الشرط والجواب في قوله تعالى:

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾

(آل عمران: ١٤٤)

يظهر لنا بوضوح أن جواب الشـرط، وهو «انقلبتم» لا يصلح أن يكون في ميزان الصواب جوابًا مُرضيًا لفعل الشرط، بل هو إذا وقع من المخاطبين يكون خطأ شـنيعًا؛ لأن موت الرسول ﷺ أو قتله لا يكون سـببًا في الكفر بالله - عز وجل - ولذلك سلط عليه استفهام الإنكار والتوبيخ لأن المطلوب من المؤمنين الثبات على الإيمان في حياة الرسل، وبعد انتهاء حياتهم.

ومـن أجل التنبيه على هذا المعنى زيدت (الياء) في ﴿أَفَإِيْن﴾ لتلفـت الأذهـان: إلى أن رابطـة السـببية التي تدل عليها أسـاليب الشرط، معدومة في هذا التركيب.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ﴾

وقد زيد هذا المعنى قوة بقوله:

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾

فزيادة (الياء) لمحة آسرة من لمحات الإعجاز القرآني تعنو لها الجباه.

وفيها - فوق ذلك - رد مفحم لهواة المعارضة - لمجرد المعارضة - الذين يزعمون خلو خصوصيات الرسم المصحفي الشريف من الدلالة على أي معنى.

الموضع الثاني:

قال تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ﴾

(الأنبياء: ٣٤)[٤]

هذه الآية نظيرة الآية السابقة عليها، والشاهد هناك هو الشاهد هنا، وهو زيادة (الياء) بين همزة «إن» الشرطية وبين نونها.

وإذا دقق القارئ النظر بين موضعي زيادة (الياء) في الآيتين، ظهر له أن السر في هذه الزيادة واحد وما يقال في أحدهما يقال في الآخر.

وقد تقدم أن المعنى اللطيف المراد من زيادة (الياء) في:

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ﴾

---

(٤) قدمنا هذه الآية عن موضعها حسب ترتيب المصحف، لقوة صلتها بآية آل عمران.

هو الرمز إلى أن «انقلبتم» لا يصلح أن يكون جوابًا لفعل الشرط «مات أو قتل».

فهو وإن وقع جوابًا للشرط في اللفظ والتركيب، فليس هو جوابًا للشــرط في المعنى، يعني أن رابطه الســببية؛ والسببية معدومة بين الجزءين هنا.

وهذا هو المراد من زيادة (الياء) في هذه الآية.

والمعنى: ليس موتك يا محمد ﷺ سببًا في تخليدنا إياهم.

أي: ليسوا هم بخالدين أبدًا، سواء مت أنت أو حييت.

وهكذا يبدو - بكل قوة - أن زيادة (الياء) في الموضعين، تشير إلى معنى لطيف شــريف، من أجل ذلك زيــدت (الياء)، ومحال أن يكون في كتاب الله العزيز شــيء زائد في اللفظ وليس له معنى يدل عليه.

الموضع الثالث:

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

(الأنعام: ٣٤)

الخصوصيــة التــي فــي هذه الآيــة، هي زيــادة (الياء) مــن كلمة ﴿نَّبَإِى۟﴾ وهي في الرســم العام تكتب هكــذا: «نبأ» ولم أعثر على توجيــه هذه الزيادة عند القدماء، علمًــا بأنهم نصوا صراحة على أن (الياء) فيها مزيدة.

وبنـاء علـى ما وقفنـا عليه من قواعدهـم في الزيـادة والحذف، وبمعونـة قرائن الأحـوال، ودلالة المقـام الواردة في هـذه الكلمة، نطمئـن إلى القول بأن هـذه الزيادة رمز إلى «تفخيـم ما زيدت فيه» وهو ﴿ نَبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

●● وعلى هذا فإن التفخيم والتعظيم لقصص المرسلين يُفهم من ثلاث جهات هي:

الأولـى: التعبيـر بكلمـة «نبـأ» دون الخبر؛ لأن النبـأ هو الخبر العظيم[٥].

الثانيـة: زيـادة (الياء) وهي مـن خصوصيات الرسـم العثماني للمصحف الشريف.

الثالثة: إضافة «نبأ» لـ «المرسلين».

الموضع الرابع:

قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

(يونس: ١٥)

الشـاهد فـي هذه الآيـة زيـادة (اليـاء) في كلمـة ﴿تِلْقَآئِ ﴾ ورسمها الإملائي الحديث هكذا: «تلقاء».

---

(٥) مفردات الراغب (مادة: نبأ).

ولم يوجه القدماء زيادة (الياء) فيها، مع ذكرهم إياها في مواضع زيادة (الياء).

والمتبادر إلى الفهم أن زيادة (الياء) فيها لتأكيد النفي.

● بيان ذلك:

أن الذين لا يرجون لقاء الله - عز وجل - طلبوا من الرسول ﷺ واحدًا من أمرين:

إما أن يلغي القرآن كله، ويأتي بقرآن آخر مغاير له تمامًا، وإما أن يحدث فيه تعديلات وتغييرات.

فأمر الله رسوله الكريم ﷺ أن يقول لهم:

﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾

نافيًا أن يصدر هذا عنه فزيدت (الياء) في حيز النفي للدلالة على استبعاد ما طلبوه منه واستنكاره.

فزيادة (الياء) قائمة مقام النبر في كلمة «أنا» أو كلمة «أنت»، إذا وقعتا في مقام الإنكار، وهذا مسموح به حتى في كلام العامة.

فإذا نسب إلى شخص أمر لم يفعله، أو قول لم يقله، فإنه يقول في الرد:

أنا فعلت هذا؟ أو: أنا قلت هذا؟ نابرًا كلمة «أنا» لتأكيد النفي.

وكذلك يُقال في الرد على من ادعى أمرًا هو لم يقم به: أنت فعلت كذا؟ أو: أنت قلت كذا؟ نابرًا كلمة «أنت» تأكيدًا للإنكار على المخاطب، وهكذا - والعلم لله - أمر الله رسوله ﷺ أن يغلظ عليهم في الرد، وأن يؤكد لهم أنه ليس أهلاً لأن يأتي بقرآن غير الذي أنزله الله عليه، وليس أهلا لأن يُحدث فيه

أي تغيير، وإنما هو متبع لما أُوحي إليه، بريء من معصية رب العالمين.

الموضع الخامس:

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)

والشاهد في هذه الآية زيادة (الياء) في كلمة ﴿وَإِيتَآيِٕ﴾ وهي في الرسم الخطي العام: «إيتاء».

والذي تركن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب أن (الياء) زيدت هنا للحث على المبالغة في العطاء لمستحقيه من ذوي القرابة، وإطلاق اليد في البر والإحسان حتى لكأن (الياء) تمديد وتوسيع لدائرة الإنفاق الواجب والمستحب.

هذا التمديد والتوسيع يُفهم من الإيحاء اللطيف، من توسيع وامتداد المساحة التي شغلتها الكلمة، بسبب زيادة هذه (الياء).

وفيها معنى دقيق آخر، هو أن يسعى ذوو الفضل بعطاياهم إلى من يعلمون أنهم في حاجة إلى مد يد العون والمواساة، بدلا من انتظارهم.

ولا ريب أن الساعي بالخير إلى مستحقيه أزكى عند الله من الذي يسعى إليه ذوو الحاجات؛ لأن في ذلك إحراجًا لهم، وفيه كذلك شيئًا من الإذلال.

الموضع السادس:

قال تعالى:

﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾

(طه: ١٣٠)

شاهدنا في هذه الآية الكريمة، زيادة (الياء) في كلمة ﴿ءَانَآيِٕ ﴾ وهي في الرسم الحديث: «آناء».

ولم يوجه القدماء كذلك الزيادة في هذه الآية.

والأمر فيها يسير، ولهذه الزيادة نظائر تقدمت تهدينا إلى اقتناص السر فيها بعون الله.

والذي يبدو مقبولا أن زيادة (الياء) في كلمة ﴿ءَانَآيِٕ ﴾ رمز إلى معنى الامتداد والطول في الزمان، وهو المدلول عليه بـ﴿ءَانَآيِٕ ﴾ وليس المراد طول الزمن في نفسه، بل المراد كثرة ما يقع فيه من ذكر الله والتسبيح بحمده.

وهذا يسمى عند البيانيين كناية لطيفة، والذي يدل على هذا توزيع التسبيح بحمد الله على أوقات ممتدة عبر رحلتي الليل والنهار، وهي:

- قبل طلوع الشمس.
- قبل غروب الشمس.
- آناء الليل.
- أطراف النهار.

وبهذا صار التسبيح بحمد الله مستوعبًا لوقت المؤمن إلا سويعات

الهجوع ليلا وصلب النهار وهو وقت السعي لتحصيل الرزق.

وتوجيـه الكناية فيه، هو الإيماء إلى طول الزمن لا من حيث إنه زمن، بل من حيث طول ما يقع فيه من ذكر الله - عز وجل - .

الموضع السابع:

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾

(الشورى: ٥١)

الشاهد هو كلمة ﴿ وَرَآيِٕ ﴾ حيث زيد فيها (الياء) والأصل فيها عدم الزيادة «وراء».

وقد وردت على الأصل بدون زيادة في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ﴾

(الأحزاب: ٥٣)

وهذا يثير سؤالا ذا أهمية قصوى فحواه:

لماذا زيد (الياء) في كلمة ﴿ وَرَءَا ﴾ في سورة الشورى، ولم تزد فيها في سورة الأحزاب؟

القدمـاء تركـوا هذه الزيادة في سـورة الشـورى بـلا توجيه، مع النـص الصريـح عليها فـي مواضع زيـادة (الياء) فـي خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف، وليس معنى هذا أنها تخلو من الدلالة، والمقارنة بين الموضعين تُسـهم إلى حد كبير في الكشف عن السر اللطيف، الكامن وراء تلك الزيادة إذ كل من كلمتي «وراء» فـي الآيتين أضيفت إلى كلمة «حجاب» فلمـاذا كانت آية الأحزاب

خالية من زيادة (الياء) في كلمة «وراء» ؟ وآية الشورى فيها (الياء) ؟

إن الفروق بين الموضوعين جد واضحة ، وهي التي اقتضت زيادة (الياء) في آية الشورى وعدم الزيادة في آية الأحزاب ، فالحجاب في آية الأحزاب حجاب مادي محسوس ، وهو كل ساتر حسي يحول دون رؤية النساء وهن في بيوتهن إذا طرق الباب رجال أجانب عنهن .

أدب الإِسلام في هذه الحالة هو أن تتوارى المسلمة خلف أي ساتر لا يمكِّن المتحدث معها من وقوع بصره على شيء من محاسنها .

أما الحجاب في آية الشورى ، فهو حجاب معنوي معقول لا يُرى ببصر ، ولا يُلمس بيد .

والحجاب في آية الأحزاب يمكن اختراقه والاحتيال عليه ، لولا الوازع الديني والالتزام الخلقي .

أما الحجاب في آية الشورى فهو محكم قوي متين ، لا يمكن اختراقه ، أو الاحتيال عليه ، إذ إن رؤية الله في الحياة الدنيا مستحيلة الوقوع ؛ لذلك - والله أعلم - زيدت (الياء) في آية الشورى للرمز على أن الحجاب المضروب بين الله وبين خلقه في الحياة الدنيا حجاب عظيم الشأن لا يمكن إزالته على الإِطلاق .

وهو الحجاب الذي جعل رسول الله موسى عليه السلام يخر صعقًا حين تجلى ربه للجبل .

فليتأمل دعاة المعارضة هذه الدقائق الآسرة الساحرة ، التي ترمز إليها «خصوصيات الرسم العثمانى للمصحف الشريف» حتى يتبين الصبح لذي عينين .

الموضع الثامن:

قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

(الذاريات: ٤٧)

والشاهد في الآية زيادة (الياء) في قوله تعالى:

﴿بِأَيْيدٍ﴾

وهي في الرسم الإملائي الحديث هكذا:

(بأيد)، بياء واحدة، وقد وجه القدماء هذه الزيادة.

قال أبو العباس المراكشي:

«إنما كتبت ﴿بِأَيْيدٍ﴾ بياءين فرقا بين (الأيد) الذي هو القوة، وبين (الأيد: جمع يد)، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت (الياء) لاختصاص (هذه) اللفظة، بمعنى أظهر في إدراك الملكوت في الوجود»[٦]

فأنت ترى أن زيادة (الياء) هنا جُلبت لمعنى، ورمزت إلى لطيفة من لطائف كتاب الله العزيز.

وقد يعبر عن هذه اللطيفة فيقال:

إن زيادة (الياء) في هذه الكلمة للتفرقة بين اليد الحسية «الجارحة» وبين «اليد» بمعنى القوة المعنوية.

وقد جُمعت هكذا﴿ بِأَيْيدٍ ﴾ ولم تأت مفردة: (بيد) مرادا من الجمع تفخيم شأن تلك القوة؛ لأنها قوة الله التي لا تُحد.

---

(٦) البرهان في علوم القرآن (١/٣٨٧).

الموضع التاسع:

قال تعالى:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾

(القلم: ٥، ٦)

هذا هو الموضع الأخير من المواضع التي زيدت فيها (الياء) في كلمات من القرآن الكريم.

والشاهد في الآية الثانية هو زيادة (الياء) في ﴿بِأَييِّكُمُ﴾ وخلاصة ما قاله الأقدمون في توجيه هذه الزيادة أنها رمز إلى اختصاصهم هم بالفتنة دون رسوله الكريم ﷺ.

ولم يبينوا بوضوح دليل هذا الاختصاص، والذي لاح لنا أن في الآية الخامسة من السورة نفسها ورد فيها قوله تعالى:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾

في هذه الآية ذكر ضميران فاعلان:

الأول: ضمير مستتر تقديره: أنت، مخاطبًا به رسول الله ﷺ.

الثاني: ضمير ظاهر متصل، وهو «واو» الجماعة الغائبين، يعود على مشركي العرب في عصر نزول القرآن الكريم.

وفي الآية السادسة:

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾

ذُكر ياءان أحدهما بعد الآخر، فإذا جعلنا هذين الياءين كنايتين عن الضميرين المذكورين قبلهما، كان الياء الأول رمزًا إلى ضمير الرسول ﷺ في الآية الخامسة، وكان الياء الثاني رمزًا إلى ضمير المشركين، وإذا نظرنا إلى ترتيب هذين الياءين وجدنا الياء الثاني

الذي هـو رمز ضمير المشـركين هو المجاور للفتنـة المفهومة من كلمة «المفتون».

- وهـذا - والله أعلم بسـر كتابـه - ملمح ذكي وقـوي يفيد في الوقت نفسه قرب المشركين وقوة صلتهم بالفتنة والضلال.

إذن، ففـي زيـادة (الياء) في هذه المواضع التسـعة من اللطائف والأسـرار ما يدعو إلـى زيادة البحث وجديته، فـي كل خصوصيات الرسـم العثماني للمصحف الشـريف، ومعالجـة المواضع التي لم يوجه الأقدمون سر الخصوصيات فيها، وهي كثيرة في آيات الكتاب العزيـز، لا تكاد تخلو منها كل سـورة من سـوره جميعًـا وكثيرًا ما يكون في رسم الكلمة الواحدة خصوصيتان أو أكثر.

٢- نقص الياء (حذف الياء)

هذا النقص له فصائل وتنوعات:

فمنه نوع يسقط فيه (الياء) في الخط وفي النطق، ومنه نوع يسقط فيه (الياء) في الخط دون النطق.

و(الياء) المحذوف إما ضمير المتكلم، وإما لام الكلمة (آخر حرف في الكلمة حسب الميزان الصرفي) [٧].

ومنه ما يكون في الأسماء وهو كثير كثرة مستفيضة، ومنه ما يكون في الأفعال.

والياء المحذوف إما مجرور محلاً بالإضافة، وإما مفعول به.

والأول: خاص بالأسماء، والثاني: خاص بالأفعال.

وسيأتي التمثيل لكل هذه الفصائل والتنوعات – بإذن الله – مع الإشارة إلى المعاني والأسرار التي يدل عليها النقص في كل موضع.

أ- الحذف في الأفعال:

١ – قال تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾

(النمل: ٣٦)

حُذفت (الياء) في هذه الآية في موضعين:

---

(٧) الميزان يرمز إليه في أشهر صوره بالأحرف الثلاثة: الفاء والعين واللام (فعل) ويسمى الحرف الأول من الكلمة الثلاثية وما ألحق بها: فاء الكلمة والثاني عين الكلمة والثالث لام الكلمة، فالفعل «نصر» مثلًا فاؤها النون وعينها الصاد وراؤها اللام وهذا الميزان يوزن به الأسماء والأفعال دون أدوات المعاني مثل: حتى - أو - في - على...إلخ.

الأول :﴿ أَتُمِدُّونَنِ ﴾، والثاني : ﴿ءَاتَـٰنِۦَ ﴾ .

حــذف (اليــاء) فــي الموضعين لم يكــن لعلة صرفيــة، ولا لعلة نحويــة بــل هو رمــز لمعنى يــدل عليــه، وفــي كلا الموضعين كان (الياء) ضميرًا مفعولاً به للفعل قبله.

والمعنــى الــذي رُمز إليه بحــذف (الياء) في قولــه تعالى حكاية عن ســليمان عليه السلام : ﴿أَتُمِدُّونَنِ ﴾، الإشارة إلى ما كان يدور في باطن ســليمان عليه السلام من استبعاد نفسه عن زُمرة من يرتشي بالمال. بدليل أن الاستفهام في الآية إنكاري توبيخي شديد الإنكار [٨].

أمــا حــذف (اليــاء) في الموضــع الثانــي ﴿ءَاتَـٰنِۦَ ﴾ فــإن هذا الحذف رمز به للتفرقة بين ما آتى الله رســوله سليمان عليه السلام، وبين ما آتاه الله ملكة سبأ :

فالذي آتاه الله ســليمان هو الحكم والكتاب والنبوة، والذي آتاه الله ملكة سبأ هو المال والسلطان الدنيوي.

فعطاء الله ســليمان في الفضل في الذروة العليا، وباق، بالإضافة إلى العلو والرفعة في درجات الآخرة.

وعطاء الله ملكة ســبأ ســلطان زائل، ومال نافد لا بقاء له، وتبعته في الآخرة ثقيلة والحساب فيه عسير.

هذا ما دل عليه نقص (الياء) في ﴿ءَاتَـٰنِۦَ ﴾

إنها معان أرق من النسيم، وأسرع لمحًا من البرق.

٢- قول الله تعالى لنوح عليه السلام :

---

(٨) ضابط الاستفهام الإنكاري أن ما دخلت عليه أداة الاستفهام منفيًا أو موجودًا لكنه كان لا ينبغي ألا يوجد.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

(هود: ٤٦)

هـذه الآية توجيه من الله لرسـوله نوح، حين نـاداه نوح قائلاً لما رأى ابنه هالكًا مع الهالكين:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

(هود: ٤٥)

توسـل نوح إلى الله في شـأن ابنـه بصلة القرابة النسـبية، فجاءه الـرد مـن الله بإلغاء هذه الصلة؛ لأن كفر ابـن نوح قطع ما بينه وبين أبيه، فهذا رسـول مؤمن، وذاك كافر عنيد، والأنسـاب مهما قربت وتلاصقـت، فـلا وزن لهـا عنـد الله، وإنما الفضـل - كل الفضل - للإيمان والتقوى والعمل الصالح.

والشاهد في الآية الكريمة، هو حذف (الياء) من الفعل ﴿تَسۡـَٔلۡنِ﴾ وهو حذف الخط دون النطق، والياء المحذوف هنا ضمير المتكلم، مفعول به للفعل قبله.

هذا الحذف لم يكن لعلة نحوية ولا لعلة صرفية.

● إنما هو رمز لمعنى لطيف، وسر حفيف، ذلك المعنى هو:

أن المسـئول عنه أمر غيبي من شئون الله - عز وجل - لأن ما في صدور العباد لا يعلمه إلا الله وحده، وتأكيدًا لهذا المعنى قوله تعالى لنوح في الآية نفسها:

﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾

ثم تسمية مثل هذا السؤال جهلا :

﴿ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

ويؤكد هذا المعنى اللطيف، المرموز إليه بحذف (الياء) في ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِ ﴾ مجيء (الياء) في نظير هذا الفعل، في قول العبد الصالح لموسى عليه السلام.

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ (الكهف : ٧٠)

ثبت (الياء) هنا، ولم يحذف كما حذف في آية «هود» الآنفة الذكر، للفرق بين المسئول عنه في الموضعين، فالمسئول عنه في آية «هود» كان شأنًا غيبيًا من الشئون التي لا يحيط بها علمًا إلا الله.

والمسئول عنه في آية «الكهف» هو وقائع محسوسة لها صورة مادية في الوجود، إذ هي :

- قتل الغلام - خرق السفينة - إقامة الجدار.

ومحال أن يكون مجيء الفعلين في السورتين، على صورتين مختلفتين عبثًا خاليًا من الدلالة، ذلك ظن قصيري النظر من الناس، فخصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف مفعمة بالإيحاءات الصادقة، ولا يخلو موضع واحد منها من هذه الدلالات المشعة بلطيف المعاني، ودقائق الأسرار.

٣- وكذلك قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ (آل عمران : ٢٠)

الشاهد في هذه الآية حذف (الياء) في الفعل﴿ ٱتَّبَعَنِ ﴾ وقد رمز بهذا الحذف للدلالة على أن المراد من الاتباع في الآية هو الاتباع في «العقيدة» أي الاتباع المعنوي لا الحسي.

ويدل على ذلك قوله تعالى قبل هذه الآية بقليل:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(آل عمران: ١٨)

فقد ذكرت عقيدة التوحيد في هذه الآية مرتين، ويدل عليه كذلك قوله تعالى في الآية نفسها:

﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾

والإسلام الموجه لله كناية عن قوة الإيمان بالله.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(آل عمران: ٣١)

ثبت (الياء) هنا؛ لأن المراد من الاتباع هو الاقتداء بالرسول ﷺ في العمل الحسي بالجوارح، أي الإتيان بالتكاليف التي أمر الله بها، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، والجهاد في سبيل الله.

ومثل الآية في حذف (الياء) قوله تعالى حكاية لقول موسى لأخيه هارون – عليهما السلام –:

﴿ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴾

(طه: ٩٢ ، ٩٣)

ضلال بني إسرائيل المذكور في الآية ضلال في العقيدة حيث اتخذوا العجل إلهًا من دون الله، لذلك كان الاتباع الذي كان يرجوه موسى من هارون - عليهما السلام - هو حملهم على عقيدة التوحيد؛ لأن هارون لم يسلك مسلكهم في الإيمان بالعجل إلهًا مع الله، أو من دون الله.

أما قول هارون عليه السلام لبني إسرائيل:

﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾

(طه: ٩٠)

فقد ثبت فيه (الياء): ﴿ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ ولم يحذف لأنه أراد الاتباع في عبادة الله -عز وجل- والعبادة صورة محسوسة.

يؤيد هذا المعنى قول بني إسرائيل في الرد على هارون في الآية التالية لهذه الآية مباشرة:

﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

(طه: ٩١)

والعكوف هو العبادة الظاهرة.[٩]

---

(٩) العكوف في اللغة هو اللزوم والمراد منه في الآية لزوم بني إسرائيل عبادتهم للعجل وقد ورد العكوف في لغة القرآن بمعنى لزوم العبادة عدة مرات منها قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ﴾.(البقرة: ١٨٧)

٤- وقوله - عز وجل - حكاية عن إبليس:

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الإسراء: ٦٢)

الشاهد في هذه الآية هو حذف (الياء) في الفعل ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ والقياس أن يثبت: أخرتني، وقد عُورض هذا القياس، وحذف (الياء) للرمز بهذا الحذف على معنى دقيق.

هو أن المراد هنا التأخير المعنوي بترك مؤاخذة إبليس على عصيانه لله- عز وجل - حيث أبى أن يسجد كما أمره تكريما مأذونا فيه من الله لآدم، وليس المراد التأخير الحسي الظاهر، إنما هو إظهار الرغبة في تأخير العقوبة، وهذا أمر معنوي عقلي غير محسوس في الوجود الظاهر.

من النماذج التي تقدمت يبدو جليا أن حذف (الياء) يرمز به إلى الدلالات المعنوية والغيبية، وقد تأكد هذا من المقارنة بين ما حذف منه (الياء) وبين نظائره التي أثبت فيها (الياء) أصالة، مع اطراد دلالة هذا الإثبات على المعاني المادية الحسية، الظاهرة في الوجود.

وقد يأتي حذف (الياء) للدلالة على معنى لطيف غير ما تقدم نذكره إذا يسر الله الأمر، بعد سوق أمثلة أخرى قد تكون «فردية» في آي الكتاب العزيز ليس لها نظائر جاء (الياء) فيها مثبتا.

٥- من ذلك قوله تعالى في قصة صاحب الجنتين الكافر وجاره الفقير المؤمن:

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾

(الكهف : ٤٠)

هذا قول الجار المؤمن الفقير لصاحبه الكافر الغني، حين فاخره بأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا، إنه يزهو عليه بحظوظه من الدنيا، ولا أمل له في غيرها.

فجاء رد صاحبه المؤمن الفقير يحمل هذا المعنى الكبير:

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾

(الكهف : ٣٩، ٤٠)

وقد حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿ يُؤۡتِيَنِ ﴾ مستعاضا عنه بالكسرة رامزا إلى معنى لطيف رقيق، ذلك المعنى أن الرجل المؤمن الفقير لا يرجو من الله حطام الدنيا الفاني وإنما يطلب منه نعيمه الأخروي الدائم، وهو نعيم غيبي في علم الله، لا يحيط به أحد سواه، ولو أراد حطام الدنيا لأثبت الياء ولم يحذف.

وقد بقي (الياء) ولم يحذف في نظير هذا الفعل في قوله تعالى:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(المنافقون : ١٠)

الشاهد في الآية هو إثبات (الياء) في الفعل ﴿أَخَّرۡتَنِ ﴾ وهذا هو الأصل فلا يُسأل عنه، وإنما الذي يُسأل عنه هو لِمَ ثبت على

الأصل ولَمْ يحذف كما حذف في آية «الإسراء» المذكورة قبلا؟!
والجواب: كان الحذف في آية الإسراء للدلالة على معنوية التأخير.
ولم يحذف هنا لأن المراد من ﴿أَخَّرْتَنِ﴾ هو التأخير الحسي بتأجيل الموت إلى وقت آخر غير الوقت الذي حضر فيه الموت لقائل هذا الكلام، فحذف (الياء) مع التأخير المعنوي، وثبت على الأصل مع التأخير المادي الظاهر المحسوس.
والياءات التي اعتراها الحذف والإثبات في جميع الأمثلة التي تقدم ذكرها ضمائر متكلمين، وموقعها من الإعراب مفعول به.
٦- وقوله- عز وجل - معلما خاتم النبيين:
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾

(الكهف: ٢٤)
والشاهد في هذه الآية، هو حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿يَهْدِيَنِ﴾ والذي اقتضى حذفه هنا، وهو الذي مر ذكره في الشواهد السابقة، وهو الرمز إلى أن المراد من الهداية أمر معنوي لا مادي محسوس.
والدليل على ذلك في الآية نفسها قوله تعالى:
﴿إِذَا نَسِيتَ﴾
والنسيان كيفية نفسية لا صورة من صور الوجود المادي المحسوس، وكذلك الهداية بمعنى التذكر بعد النسيان أمر معنوي لا مادي محسوس، قارن هذا الموضع بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (القصص : ٢٢)

جاء الفعل هنا : ﴿ يَهْدِيَنِي ﴾ بإثبات الياء.

فلماذا لم يحذف كما حذف في نظير هذا الفعل في آية (الكهف) ؟

والجواب : أن الهداية هنا هداية حسية، فموسى عليه السلام لما خرج من مصر خائفا يترقب، بعد أن علم أن الملأ يتربصون به ليقتلوه، رجا ربه أن يبصره بأيسر الطرق الموصلة إلى مدين ؛ إذن فهي هداية حسية ظاهرة، لا معنوية مستترة.

والياء في الموضعين ضميرا متكلمَيْن : محمد وموسى – صلى الله عليهما وسلم – وكلاهما مفعول به للهداية، أو الفعل الدال عليها، ولولا هذه اللطائف والأسرار لجاء رسم هذه الكلمات جميعا بإثبات (الياء)، ولما حذف (الياء) مما حذف منه، ومحال أن يسوى بين دلالتي الإثبات والحذف ؛ لأن ذلك يؤدي إلى محظور في قدسية كتاب الله العزيز.

٧- وحذف (الياء) كذلك في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وهو يخاطب العبد الصالح :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ (الكهف : ٦٦)

وجاء هذا الحذف رامزًا إلى معنى لطيف، ذلك المعنى هو : أن موضوع (التعلم) الذي يرجوه موسى من العبد الصالح غيبي يتصل ببواطن الأمور لا ظواهرها، وهي الأسباب الخفية في :

- قتل الغلام - خرق السفينة - إقامة الجدار

فهذه الأسباب من علم الله الغيبي، كشف عنها للعبد الصالح، ولم يكشف عنها لأحد سواه.

وإذا قارنا بين ﴿أَن يُؤْتِيَنِ﴾ و﴿تُعَلِّمَنِ﴾ وبين قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾

(يوسف: ١٠١)

لرسخ في وجداننا ما قدمناه من تطبيقات صائبة على القواعد، التي نص عليها العلماء في (خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف).

فقد ثبت (الياء) في ﴿ءَاتَيْتَنِي﴾ و﴿وَعَلَّمْتَنِي﴾ في ما حكاه الله عن يوسف عليه السلام لأن المعنى فيهما مادي حسي، أي الوزارة، وفك رموز الرؤى المنامية.

أما معنى:

﴿أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾

فهو أمر غيبي يتعلق برضوان الله، ونعيم الآخرة.

وكذلك قول موسى:

﴿أَن تُعَلِّمَنِ﴾

فهو يتعلق بالأسرار الإلهية وراء الوقائع الظاهرة.

وهذه إضافة قوية - أعني المقارنة بين هذه الكلمات الأربع - لتوكيد أن «خصوصيات الرسم المصحفي» ذوات دلالات رائعة،

سواء قلنا: إن هذه الخصوصيات «اتفاقية» أو «توفيقية» أو «توقيفية» والخلاف بين هذه الآراء لا يعنينا، وإنما الذي نُصر عليه أن هذه (الخصوصيات) وضعت لمعنى، فليست هي عاطلة عن الدلالة فيستوي وجودها وعدمها، ذلك ظن يجب أن يُنزه عنه كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزه عن العيوب وخلا من كل فضول؛ لأنه كلام من أحاط بكل شيء علما.

٨- ومن الكلمات المفردات التي حذف فيها (الياء) قوله تعالى:

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾

(الكهف: ٦٤)

حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿ نَبْغِ ﴾ للدلالة على ما في هذا السعي من (غيبيات).

فالعبد الصالح لا عهد لموسى به، ولا معرفة له سابقة بما خصه الله من العلم (اللدني)، وموسى عليه السلام لم يطلب العبد الصالح لذاته وشخصه المجسم الظاهر؛ وإنما طلبه لما عنده من علم (لدني) امتن الله به عليه.

٩- وقوله تعالى:

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾

(الصافات: ٥٦)

حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿ لَتُرْدِينِ ﴾ لأن المراد منه الإرداء الأخروي لا الدنيوي، بدليل قوله تعالى بعده مباشرة:

﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾

(الصافات : ٥٧)

١٠- وقوله تعالى :

﴿ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴾

(الدخان : ٢٠)

حذف (اليـاء) من الفعل المضـارع ﴿ تَرۡجُمُونِ ﴾؛ لأن المراد من «الرجـم» البهتـان والتكذيـب بالرسـالة، فهو أمر معنـوي، وليس الرجم بالحجارة، وهو أمر حسي.

وجميـع هذه (اليـاءات) المحذوفة من معمـولات الأفعال فهي مفعـول بها في كل موضع، وهي كلها ثابتة في النطق مع حذفها في الرسم الخطي.

١١- وقـد جاء الحـذف والإثبات في آيتيـن متجاورتين في قوله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾

(يس : ٧٨ ، ٧٩)

حذف (الياء) من الأول ﴿ يُحۡيِ ﴾ لأنه غير موجود حين تسـاءل عنـه منكر البعث، وثبت في الثانـي ﴿ يُحۡيِيهَا ﴾؛ لأنه جواب صادق بإحيـاء الموتى، فكأنه لصدق الوعد به وقرب يوم الحشـر في علم الله، فكأنـه أحياهـا بالفعل، وهذا من دقائق المعاني في هذا الرسـم الحكيم.

١٢- وقوله تعالى:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾

(الفجر: ٤)

حـذف (الياء) في هذا الفعل المضارع يَسۡرِ ونابت عنه الكسـرة تحت (الراء)، و(الياء) المحذوفة - هنا - لام الفعل، ووزن الفعل بعد الحذف: «يفع» لأنه من سرى يسري.

أما (الياء) المحذوف من الكلمات السـابقة فهي - كما تقدم - ضمير متصل مفعول به.

وعلـة الحذف في هذا الموضع ﴿يَسۡرِ﴾ هي علة الحذف في كل ما تقدم.

أعنـي الرمز إلـى التفرقة بيـن المعاني الذهنيـة المعنوية التي لا صورة لها محسوسة ماديا في الوجود وبين المعاني المادية المدركة بإحدى الحواس الخمس.

والمـراد مـن ﴿يَسۡرِ﴾ فـي آية (الفجـر) ليس الذهـاب بالحس المـدرك بالبصر، بـل: الذهاب المعنوي؛ لأن الناس لا يرون سُـرى الليل بأبصارهم، وإنما يدركون ذلك (السُرى) بعقولهم وأذهانهم.

وفـي نقص (اليـاء) هنا لطيفة أخرى، وهي أن سُـرى الليل يدل على نقصانه شيئا فشيئا.

والنقص الحسي في صيغة هذا الفعل، والحادث بحذف (الياء) يشع منه معنى بالغ النهاية في الدقة، وهو: نقصان الليل نفسه في الواقع.

وهذا المعنى أشبه ما يكون بالتفسير (الإشاري) عند المتصوفة[10]

١٣- أما قوله - عز وجل -:

﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾

(الفجر: ١٥، ١٦)

فقد حذف فيه (الياء) في فاصلتي الآيتين هكذا: ﴿أَكْرَمَنِ﴾ - ﴿أَهَٰنَنِ﴾ وهذا الحذف في الموضعين رمز به على خطأ وقع فيه الإنسان القائل هذا الكلام، ذلك الخطأ هو أن من ينعم عليه الله، ويبسط الرزق يعتقد أن هذا الإنعام من الله دليل على حب الله إياه، وسمو منزلته عنده، وأما من يضيق الله عليه في الرزق، فيرى كذلك أن الله لا يحبه، وأن منزلته عنده وضيعة[11].

ووجه الخطأ - هنا - أن كلا منهما جهل سنة لله في خلقه، تلك السنة هي أن الله تعالى يبتلي الصالح والطالح، وأن الابتلاء (الاختبار) يكون بالنعم كما يكون بالنقم، فليس إغداق النعم من الله على بعض عباده دليلا على فضلهم وصلاحهم عنده.

وليس ابتلاء الله أحدا من خلقه بالشرور دليلا على بغض

---

(١٠) التفسير الإشاري هو فهم معانٍ من القرآن لم يدل عليها اللفظ دلالة مباشرة ولم يدل عليها معنى اللفظ مما يسميه البلاغيون: معنى المعنى، ولا يملك القائل به دليلًا عليه، كما لا يملك من ينكره دليلًا على إنكاره وقد أورد منه الإمام الألوسي صورًا كثيرة في كتابه المعروف بـ: «روح المعاني».

(١١) ينظر كتاب (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل) لأبي عباس أحمد بن البناء المراكشي، نشر: دار الغرب الإسلامي (تونس) - ص٩٦.

الله إياه وانتقامه منه .

وكان حذف (الياء) في الآيتين مدرجا للفت الأنظار وإثارة الذهن للتساؤل عن سبب الحذف في الموضعين ويتجه لفهم هذا المعنى اللطيف .

و(الياء) في الموضعين ضمير المتكلم ومفعول به للفعل قبله ، وبقيت الكسرة دليلا عليه .

ملاحظة١ :

مقارنة بين موضعين ورد (الياء) في أحدهما محذوفا ، وفي الآخر مثبتا في فعل واحد في الموضعين .

قال تعالى :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
(البقرة: ١٥٠)

وقال تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى

مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

(المائدة : ٣)

فــي آيــة البقرة ثبــت (الياء) فــي الفعــل ﴿ وَٱخۡشَوۡنِي ﴾ وفي آية المائدة حذفه .

وهنا يرد سـؤال لحـوح : لماذا أثبت (الياء) فــي الأولى وحذف في الثانية ؟

والجواب :

إن (اليــاء) فــي آيــة البقرة جــيء به علــى الأصــل (الإثبات) لا الحــذف ، أما في آيــة المائدة فقد كان الحذف رمــزًا على معنى يدل عليه .

هــذا المعنى هو أن المنهي عن خشــيته طائفــة خاصة ، هم الذين ظلمــوا المؤمنيــن مــن النــاس لا كل النــاس ؛ لأن الضمير في ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ ﴾ عائد على أقرب مذكور له ، وهو هنا ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ .

ومراعــاة لهذا المعنى ذهب بعض العلماء إلــى أن ثبوت (الياء) في آية البقرة ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي ﴾ رمز إلى معنى مقابل للمعنى الــذي حذف (اليــاء) من أجل الدلالة عليه في آيــة المائدة ، والمقام ينصر هذا لأن ما في آية البقرة هو : ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أما في سورة المائدة فهو : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وهم أعم من ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ .

وعلى هذا :

فــإن حذف (الياء) في آية المائدة رمز بــه إلى (العموم) وإثبات (الياء) في آية البقرة رمز به إلى (الخصوص) .

وقد عبر عن هذا الفرق الإمام الزركشــي بأن الخشية الكلية رُمز

لها بحذف الياء، والخشية الجزئية رمز لها بإثبات (الياء).

١٤- وكذلك حذف (الياء) من الفعل المضارع - لغير علة نحوية ولا صرفية - في قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾

(النساء: ١٤٦)

حذف (الياء) من الفعل المضارع ﴿يُؤۡتِ ﴾ دون أن يقتضي هذا الحذف عامل نحوي أو بناء صرفي، ومعنى هذا أن الحذف هنا له دلالة لطيفة من أجلها كان الحذف، هذه الدلالة هي:

أن الإتيان الذي وعد الله به عباده المؤمنين الموصوفين بهذه الأوصاف العظيمة عبارة عن:

- التوبة النصوح.
- الإصلاح في القول والعمل.
- الاعتصام بالله - عز وجل -.
- إخلاص الدين لله، والإعراض عمن سواه.

هذا الإتيان الذي وعدهم به، هو إتيان غيبي أخروي لا يدرك كنهه أحد.

فحذف (الياء) للدلالة على هذه اللمحة اللطيفة، ومثل هذه الآية من بعض الوجوه قوله - عز وجل -:

﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴾

(هود: ١٠٥)

و(الياء) حذف - كما ترى - لغير علة نحوية أو صرفية، وحاشا

أن يكون هذا الحذف خاليًا من الدلالة وإلا ما حذف.

إن معناه اللطيف الذي دل عليه هو غيبية مجيء يوم القيامة، ثم قرب مجيئه، وهذا المعنى درج عليه القرآن كثيرًا، وإن لم يحدد مدة القرب.

والحذف من بنية الكلمة، وخاصة إذا حدث هذا في أطراف الكلمات يترتب عليه قصر المسافة المكانية، وفي هذا إيحاء بقصر المسافة الزمانية بين الخلق وبين حدوث يوم القيامة، فبين المسافتين إيحاء لطيف.

ملاحظة ٢:

أفعال تثير تساؤلات في سورة الأنعام.

في سورة الأنعام آية وردت فيها أفعال، قد تثير تساؤلات على القاعدة التي تقدمت في حذف (الياء) من الفعل ﴿يَأْتِ﴾ في الآيتين المذكورتين آنفًا.

ولنذكر الآية أولًا:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾

(الأنعام: ١٥٨)

ورد الفعل ﴿يَأْتِىَ﴾ في الآية أربع مرات، و(الياء) مذكور لم يحذف.

وموضع الأفعال الأربعة، أمر غيبي، وهو على التفصيل:

- إتيان الملائكة.
- إتيان الله ﴿رَبُّكَ﴾.
- إتيان بعض آيات ربك (مرتان).

فلماذا إذن ثبت (الياء) ولم يُحذف؛ على غرار حذفه في:

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؟

الجواب: الأفعال الثلاثة الأولى:

- ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾
- ﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾
- ﴿يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾

هذه الأفعال الثلاثة ثبت فيها (الياء) لأن:

الفعل الأول تقدم عليه (ناصب) للمضارع، هو «أن» فثبت (الياء) لتظهر عليه (فتحة الإعراب).

أما الفعلان التاليان له وهما:

﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾

﴿يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾

فهما معطوفان عليه ولابد من ظهور (فتحة الإعراب) على الحرف الأخير فيهما فثبت (الياء) من أجل هذا.

أما الفعل الرابع:

﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾

فهو غير معطوف، والظاهر يقتضي حذف الياء منه، وعليه يرد التساؤل المذكور [١٢].

والجواب: هذا الفعل وإن كان متعلقه أمرًا غيبيًا مثل:

﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ﴾ و﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ ﴾ لن يكون في الحياة الدنيا بل هما أمران من شئون الحياة الآخرة.

هذا واضح في ﴿ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ﴾ أما في ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِ ﴾ فهذا حديث عن يوم البعث من القبور، فهو إذن يوم من أيام الآخرة لا من أيام الدنيا.

أما ﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ فهذا من أيام الدنيا قبل نفخة الصعق؛ إذن هو يوم سيشهده الناس في يوم من أيام الدنيا، فالغيبية فيه غير كاملة.

هذا الفرق الكبير بينهما هو الذي اقتضى إثبات الياء في:

﴿ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾

لأنه كما تقدم يوم من أيام الدنيا بدليل ما بعده في الآية نفسها:

﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا ﴾

ويرى بعض المفسرين أن ﴿ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ هو طلوع الشمس من المغرب [١٣]. وهو قطعًا من أيام الدنيا في أواخر عمرها.

---

(١٢) لم يلتفت أحد من علماء علوم القرآن لهذه الآية، لذلك استأنفنا البحث عن سر إثبات «الياء» فيها مع أنها تشير إلى أمر غيبي لم يحدث حتى الآن.

(١٣) انظر فتح القدير للإمام الشوكاني (١/٢١٢).

هـذه المقارنـات الدقيقة تظهر لنا بكل وضـوح: الفاعلية وبالغ الحكمة في الخصوصيات التي انفرد بها الرسم العثماني للمصحف الشريف.

وأن كل مـا فيـه، مما فارق به الخط الإملائي العام يرمز إلى معان جد لطيفة، منها ما هو مدرك ملحوظ بين، ومنها ما يحتاج إلى تأمل طويـل يضاف إلي تلك الجهود التى بذلهـا علماؤنا الأقدمون قريبو العهـد بالكتبة الأولـى للمصحف في خلافـة ذي النورين عثمان بن عفـان رضي الله عنه، وهي لم تسـتجد في عصره، إنمـا كان المصحف مدونًا بها في عصر الرسالة.

١٥- ومن المواضع التي حذف فيها الياء في درج الكلام قوله - عز اسمه -:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٦)

حـذف الياء في هذه الآية فـي موضعين الأول من ﴿ٱلدَّاعِ﴾ وهو اسـم فاعل، والثاني من ﴿دَعَانِ﴾ وهـو فعل ماض كما ترى، ونحن وإن كنـا بصدد الحذف من الأفعال هنا فإن المقام يقتضي بيان سـر الحذف في الموضعين معًا لأن مقتضى الحذف فيهما واحد.

فالآية تقرر قرب الله من أحوال عباده، وقيل في سـبب نزول هذه الآية أن رجلاً أو جماعة سـألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟

فأمسك عن الجواب ؛ فنزل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى ﴾[14]

ولما كانت الإجابة بالقرب لا بالبعد كان حذف (الياء) في الموضعين لتأكيد ذلك القرب من وجه لطيف بعد توكيده بـ «إن» واسمية الجملة.

وحذف الياء في الموضعين قَصَّر المسافة المكانية التي رسمت فيها الآية، وتقصير المسافة هو القرب الذي قررته الآية.

فهذا الحذف من ألطف الكنايات على معنى القرب الذي وصف الله به نفسه وهو قرب علم وإحاطة وإنعام وتدبير، لا قرب مكان ومجاورة، قرب (معية) معنوية لا قرب تضام ومجالسة.

وقد تولد عن تلك الكناية اللطيفة (= دلالة الحذف على القرب) لطائف أخرى يبثها البيان القرآني أرق من نسيم الحدائق في الأسحار:

لطيفة سرعة سماع الدعاء لقرب المدعو.

ولطيفة سرعة الإجابة إذا كان الداعي من أهل القبول عند الله - عز وجل - ولم يطعم أو يلبس حرامًا، ولا دعا بسوء ظلمًا ولا بشحناء أو قطيعة رحم.

- قال الإمام الزمخشري في شرح الآية:

«تمثيل لحاله في سهولة إجابته لمن دعاه، وسرعة إنجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فإذا دعي أسرعت إجابته نحوه، كما قال سبحانه:

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق: ١٦)

---

(١٤) الكشاف - (١/٣٧٧).

ثم ذكر سبب نزول الآية كما تقدم آنفًا » .

ب- حذف (الياء) في فواصل الآي:

وهذا الحذف كثير جدًا في الأفعال وفي الأسماء أو الصفات المشتقة .

أولاً: في الأفعال:

وعلى منهجنا الذي تقدم ، نمضي بادئين بعرض مستقل لحذف (الياء) في الأفعال الواقعة فواصل للآيات ، ونتبين بعض الأسرار واللطائف في بعض النماذج ؛ لأن استقصاء الحديث عنها غير مستطاع ، ولأن بيان اللطائف والأسرار في بعض النماذج يغني عن تتبعها كلها .

ولنبدأ بنماذج من سورة البقرة ، أول سورة في المصحف بعد فاتحة الكتاب ، قال تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾

(البقرة: ٤٠ ، ٤١)

وقع (الياء) في فاصلتي هاتين الآيتين وهما – أعني الفاصلتين – فعل أمر :

الأول : ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ .

والثاني : ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ .

و(الياء) المحذوف فيهما ضمير المتكلم – عز وجل – ، وموقعه الإعرابي مفعول به والحذف في الفواصل كثير ، ولم يقتصر على حذف المفعول به إذا كان « ياء » بل كثيرًا ما يحذف المفعول

به وهو ليس ضميرًا ، ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾

(البقرة : ١٧)

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة : ٢٢)

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾

(البقرة : ٣٣)

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

(البقرة : ٥٢)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة : ٦٣)

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

(البقرة : ١٣٤)

هذه ست فواصل من أوائل سورة البقرة ، كل فاصلة منها فعل متغير له مفعول به واحد ، أو مفعولان ، ولم يذكر النص القرآني أي مفعول منها ، بل حذفه ونزّل الفعل المعدى إلى مفعول أو مفعولين

منزلة الفعل اللازم الذي لا يحتاج إلى مفعول.

وذلك لأن الفواصل القرآنيـة لها وضع خاص في النظم القرآني؛ لأن رءوس الآيـات هي معاقد المعاني فيها، فخصت بمنهج يسـاعد علـى أداء وظائفهـا في اللفـظ والمعنى، وقد أحصـى بعض العلماء سـمات منهج القرآن في بناء فواصل الآيـات فوجدها ثلاثا وأربعين سمة.

أبرز وظائف هذه الفواصل في القرآن كله:

تيسـير القرآن للذكر والحفظ، وإحـداث إيقاع صوتي (ترنيم) عند تلاوته يجذب الأسـماع جذبًا قويًا، ويأسـر القلوب أسرًا بالغًا، ويضفـي على ترتيل الذكر وقعًا في السـمع لا تجـد له مثيلا في أي نظم أو كلام آخر.

وكان هـذا الحذف الذي نحـن بصدد الحديث عنـه معوانا على ذلك كله.

هذا ما يعود على الألفاظ أو الإيقاع الصوتي الجذاب، أما ما يعود على المعاني فهو أمران تحتهما فروع دقيقة:

فجمال الإيقاع الصوتي هو مصيدة الأسماع والقلوب في الإقبال علـى القـرآن، وهذا مدرج يلقي في النهاية في أسـر القـرآن، فتقبل القلوب على حبه، والسياحة في حدائق معانيه.

وتقبل العقول على تدبر تلك المعاني، وهذا مدرج آخر لحدوث الهدايـة، التـي من أجلهـا نزل القـرآن، أو تقوم الحجـة لله على من أعرض وتولى، وهذا هو الأمر الذي بعث الله من أجله رسله جميعًا.

ويضاف إلى جانب خدمة المعاني من سـمة الحذف غرض آخر،

هو الإيجاز في اللفظ والإكثار في المعنى، وهذا الإيجاز من أبلغ صفات الكلام البليغ.

ونعود إلى آيتي البقرة، لنرى دور الحذف فيهما في تحقيق الأغراض البلاغية والتربوية التي أشرنا إليها، هاتان الآيتان حذف فيهما (الياء) كما تقدم:

﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾ والأصل: «فارهبوني» و﴿فَٱتَّقُونِ﴾ والأصل: فاتقوني

فمن حيث خدمة الألفاظ والبناء الصوتي الآسر، مكننا الحذف من الوقوف على آخر الفاصلتين بالسكون.

وهذا السكون حقق الانسجام الصوتي بين ما تقدم على هاتين الآيتين، وما تأخر عنهما من آيات وبينهما، وهذا يقتضي أن نذكر مجموعة هذه الآيات متصلة وهي:

قال تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾

(البقرة: ٣٨ - ٤٣)

ندعو القارئ الكريم أن يتلو هذه الآيات بصوت مسموع تلاوة مجودة، وأن يتأمل ويتعرف على دور الوقف على السكون في فواصل الآيات الست، وأثر هذه التلاوة في القلوب والمشاعر والأسماع.

مما يترتب على هذه التلاوة الشجية، الحلوة الرنين، الطيبة المذاق.

ثم ليعد ليتبين بعناية خاصة: أثر حذف (الياء) في تمكين القارئ من استمرار التلاوة على نسق ترنيمي واحد أسهم في تحقيق الهدف.

وحرفا المد (الواو والياء) قبل الحرف الأخير في الفاصل، في الفواصل الست، أما حرف الفاصلة فهو (النون) في الفواصل الست، مسبوقا بحرف المد (الواو) في خمس فواصل وبحرف (الياء) في فاصلة واحدة، هي الأخيرة: ﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

وقد عد بعض الدارسين المعاصرين هذا الإيقاع الصوتي الفريد، لنظم القرآن سمة: قوة الظهور.

أما من حيث خدمة المعاني، فإن هذا النسق العجيب، هو الطعم الذي يصطاد به القرآن القلوب من بعيد، أو رائحة (الشواء) الشهي الذي يُسيل لعاب السامعين، فيجدون في أنفسهم جذبا قويا نحوه، فإذا وقعوا في أسره، فإن معانيه تشرق عليهم من كل جهة، ويكون المصير:

إما الهداية الجالبة لسعادتي الدنيا والآخرة، وإما إقامة الحجة لله على المعرضين ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ويمكن أن تستعير مصطلحا بلاغيا يستثمره البيانيون في توجيه أساليب الحذف ونطبقه بجدارة - على هذه الحذوفات في خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف، ذلك المصطلح هو ما يعرف عندهم بـ (توفير العناية بالمعنى).

فقوله - عز وجل -:

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾

وقوله:

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾

حذف (الياء) منهما لتوفير العناية بالمعنى في الآية الأولى وهو (الرهبة)، وفي الثانية وهو (التقوى) أي إن القرآن ركز على تحقيق هذين المعنيين، فجردهما من الزوائد لئلا تشغل الذهن، ولو برهة من الزمن.

والحذف - بوجه عام - لا يُصار إليه إلا بعد توفر أمرين:

الأول: أن يكون الحذف - من حيث المعنى - أولى من الذكر.

الثاني: أن يكون في الكلام دليل يدل على المحذوف.

وقد تحقق هذان الشرطان في كل المحذوفات القرآنية، ومنها حذف (الياء) في الآيتين اللتين هما موضوع الحديث هنا.

فأما من حيث اللفظ والمعنى، فقد ظهر لنا ما في هذا الحذف من خدمة الألفاظ والمعاني، ولا حاجة لإعادة ذكره، وأما من حيث الدليل الذي يدل على المحذوف، فإن (الياء) لما حذف في الآيتين وفي غيرهما من كل ما تقدم بقي في الكلام ما يدل عليه من جهتين:

الأولى: من جهة المعنى؛ فإن من يسمع ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾ أو

﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ يـدرك لتوّه أن ضميـر المتكلم في مثل هذه السـياقات هو (الياء).

الثانيـة: من جهة اللفظ؛ فإن الكسـرة التـي ألحقت بالياء، تدل دلالة قوية عليه وهو محذوف.

ومن لطائف ما يضاف هنا: أن الرسم العثماني جمع بين الحذف والذكر في موضع واحد لأن (الياء) في النماذج التي معنا: محذوفة جسما مذكورة عقلا.

هـذا وكنا نود أن نسـوق نماذج أخـرى غير هذيـن النموذجين ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ - ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ ولكننـا آثرنـا الاكتفاء بما تقدم توخيا لعدم الإطالة.

ولنـا إضافتان مهمتان نذكرهمـا، قبل توديع الحديث عن حذف (الياء) في الأفعال الواقعة في فواصل الآيات هما:

● أنهـا على كثرتها تخضع جميعها للطائف والأسـرار، وخدمة عنها كما تقدم، وأن الحذف في فواصل الآيات - أيا كان المحذوف - لا يصار إليه من أجل حلية لا صلة لها بخدمة المعاني - هذا محال - وإن لـم ير بعض الباحثيـن فيه حرجا، وما من موضع من الفواصل القرآنية إلا وقد جمع بين خدمة اللفظ والمعنى معا، وإن خفي ذلك على قليل من الدارسين.

● وأن المحذوفـات في الفواصل يكون لها سـر آخـر غير الذي أشرنا إليه قريبا وقد تقدم لنا نماذج منها مثل:

﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾

(الصافات: ٥٦)

فــإن للحذف هنا معنى آخر ؛ هو الإشــارة إلى أن الإرداء الأخروي غير الدنيوي.

ومثل:

﴿وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ﴾

(الدخان: ٢٠)

فإن للحذف هنا معنى آخر، هو الإشارة إلى أن المراد من الرجم، هو التكذيب وليس الرمي بالحجارة.

ثانيًا: حذف (الياء) في الأسماء:

نبدأ بما ورد في سورة البقرة، الآية (١٨٦) وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾

﴿ٱلدَّاعِ﴾ اســم فاعل من دعا يدعو، و(اليــاء) المحذوف فيها أصله (الواو).

وجــاء حذفه رمــزا على معنى لطيف، هو رفعة شــأن هذا الدعاء؛ لأنه دعاء ورد في مقام الاســتجابة من الله – عز وجل –، ورفعة شــأن هذا الدعاء لها اعتباران:

– أنه دعاء قد قبله الله واستجاب لداعيه فحقق له ما دعا به.

– أنه دعاء أخلص فيه الداعي العمل لله في الســر والعلن؛ لأن الله لا يقبــل الدعاء إلا من المخلصين، الذين أطابوا مأكلهم ومشــربهم وملبسهم، ولم يشغلهم أو يصرفهم عن الله شاغل أو صارف.

وقد دل على هذا قوله تعالى في الآية نفسها:

﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾

فهذا الداع الذي أجاب الله دعوته تحقق فيه أمران:

● الاستجابة لله – عز وجل –.

● الإيمان الخالص.

وشبيه بهذا قوله تعالى في سورة القمر، الآية (٦) وهي:

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾

فقد حذف (الياء) من ﴿ٱلدَّاعِ﴾ وهذا هو وجه الشبه بين آيتي البقرة والقمر ثم اختلفتا في المقتضي الذي كان سببا في الحذف في كل منهما.

وقد عرفنا لماذا حذف (الياء) في آية البقرة.

أما السر الذي حذف من أجله (الياء) في آية القمر فهو أن هذا ﴿ٱلدَّاعِ﴾ أمر غيبي سيكون يوم القيامة، وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذا أنه:

شأن ملكوتي، أي غير واقع الآن.

و(الياء) المحذوفة في الموضعين هو أصل من أصول الكلمة، وهي:

الدال، والعين، والواو، وقد انقلب (ياء) هنا كما تقدم.

ومثلهما قوله تعالى:

﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾

(القمر: ٨)

وقد يرد الذكر والحذف في آية واحدة في كلمتين متجاورتين فيها: من ذلك قوله تعالى:

﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾

(القمر : الآيات ١٦ - ١٨ - ٢١ - ٣٠ - ٣٧ - ٣٩)

والشاهد في الآيات الست هو :

﴿ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾

الآية (١٦) وردت تعقيبا على إهلاك الله الكفرة من قوم نوح.

والآية (١٨) جاءت تمهيدا لما أهلك به «عاد» لذلك قدم عليه هكذا :

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾

(القمر : ١٨، ١٩)

والآية (٢١) وردت تعقيبا على ما حل بـ«عاد» وكذلك تهويلا لما حل بهم.

أما الآية (٣٠) فقد عقبت على ما حل بـ«ثمود» قوم صالح عليه السلام.

والآية (٣٧) والآية (٣٩) كلتاهما كانتا خطابا لقوم لوط لما عاثوا في الأرض فسادا، وقلب الله بهم الأرض بطنا على ظهر.

هذا هو النسق النظمي الذي ورد في إطاره :

﴿ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾

والملاحظ أن (الياء) وهو هنا مضاف إليه ثبت في ﴿ عَذَابِيَ ﴾ في الآيات الست.

وحذف في ﴿ نُذُرِ ﴾ في الآيات الست كذلك، ومن هنا يبرز سؤال مهم :

لماذا ثبت (الياء) في ﴿ عَذَابِيَ ﴾ وحذف من ﴿ نُذُرِ ﴾ ؟

والجواب :

إن العـذاب المضـاف إلـى ضمير اسـم الجلالـة ، ومعنـاه هنا : التعذيـب ، هـذا العذاب مضى وانتهى بكل صوره وأشـكاله المادية المحسوسة .

فطوفان نوح وريح عاد وصيحة ثمود ، وحاصب قوم لوط كل هذه صور وأشكال يحكمها وصفان :

الأول : أنها صور وأشكال مادية محسوسة .

الثاني : أنها بعد وقوعها في مواقيتها ذهبت لا وجود لها الآن .

فهي – إذن – أمور مدركة بالحواس .

أما ﴿ٱلنُّذُرُ﴾ فهـي المعاني الذهنية المعقولـة ، ولا تزال تؤدي دورهـا مـن الإنـذار والتخويـف ، لكل من نحـا منحى تلـك الأقوام والجماعات .

ويحكمها كذلك وصفان :

أولهما : كونها معاني ماثلة في الأذهان .

ثانيهما : كونها عظات وعبر باقية ، تتدبرها جميع الأجيال .

إذا تقرر ذلك :

ظهـرت لنا اللطائف والأسـرار التي رمز لها بإثبـات (الياء) في ﴿عَذَابِيَ﴾ وحذفها من ﴿نُذُرِ﴾ للدلالة في الأول ﴿عَذَابِيَ﴾ على الماديـة والانتهاء ، وللدلالة فـي الثاني ﴿نُذُرِ﴾ على (المعنوية) ثم على الاستمرار والدوام .

أي إن :

إثبات (الياء) فيما ثبتت فيه ، وأنه هو الأصل ، وأن حذف (الياء)

فيمـا حُذفت فيه : رمزان للدلالة علـى معنيين في غاية اللطافة ، ولم يحدثـا عبثـا ، وإنمـا وراءهما مـا اقتضاهما مـن مجـال الإيقاع في ﴿نُذُرِ﴾ واللطائف والأسرار في كل منهما ، والمعروف أن الأصل هو السـكون في آخـر أحرف كلمـات الفواصل ، وسـورة (القمر) بنيـت فواصلها على حرف (الراء) فناسـب ذلك حذف (الياء) في ﴿نُذُرِ﴾ لأنـه لو ثبت لمـا أمكن الوقوف عليه بسـكون (الراء) ولحـدث (نشـاز) فـي الإيقـاع الصوتي الممتـع ؛ لأن مـا قبل هذه الفواصـل ﴿وَنُذُرِ﴾ فواصـل يوقـف على الـراء فيها بالسـكون ، وكذلك ما بعدها .

وممـا اجتمع فيه الإثبـات والحذف في آية واحـدة ، في كلمتين متجاورتين ، معطوفة ثانيتهما على الأولى ، قوله تعالى :

﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾

(إبراهيم : ١٤)

أثبـت (الياء) في ﴿مَقَامِى﴾ وحذف مـن ﴿وَعِيدِ﴾ لأن الأصل فـي (المقام) هنـا ، هو قيام العبـد ومثوله بين يدي ربه ، وشـأنه أن يكون (مُبصرًا) لذلك أثبت فيه (الياء) المضاف إليه (مقام) جريًا على الأصـل ، أما الوعيد فمعناه حضور الخبـر التهديدي في الذهن فهـو أمر معنوي معقول ، مسـتمر لا انقطاع له في الوجود ، والوعيد والإنـذار بمعنى واحد ، وإن حدث اختلاف في التسـمية والحذف - هنا - جرى على خلاف الأصل ، للدلالة على المعنى المشار إليه ، ثم إن هذا الحذف كان فيه رعاية لجمال النسق الصوتي .

لأن الفواصل التي وردت بعده كانت دالية مسبوقة بحرف المد (الياء) هكذا:

﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴾

(إبراهيم: ١٥، ١٦)

● وبهذا كان في هذا الحذف لطيفتان:

١- معنوية، كما تقدم.

٢- ولفظية، وهي مراعاة مجيء فاصلتين بعدها حرف فيهما الدال التالي لحرف المد (الياء).

ومثله قوله تعالى:

﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾

(ق: ١٣، ١٤)

حذف (الياء) من ﴿وَعِيدِ﴾ وهي فاعل ﴿حَقَّ﴾ والأصل «وعيدي» فحذف منها (الياء) ونابت الكسرة منابه، وصارت دليلا عليه.

وعلة الحذف فيه هي التي تقدمت في نظيره، وهي الدلالة على مثوله وحضوره في الذهن؛ لأنه معنى واسم لما يعاقب به الله المجرمين -هذا من حيث المعنى- أما من حيث اللفظ، فقد جاءت بعد هذه الفاصلة عشر فواصل كلها دالية مسبوقة بحرف المد (الياء) هكذا: «جديد - الوريد - قعيد - عنيد - تحيد - الوعيد - شهيد - حديد - عتيد - عنيد».

وهي فواصل الآيات من (١٥) إلى (٢٤).

وحذف (الياء) كذلك من كلمة ﴿نَكِيرِ﴾ مضافًا إلى ضمير اسم الجلالة في أربعة مواضع، هي:

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(الحج: ٤٤)

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(سبأ: ٤٥)

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(فاطر: ٢٦)

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

(الملك: ١٨)

(النكير) في هذه الآيات الأربع اسم لعقاب سابق أنزله الله على مكذبي الرسل وصوره وأشكاله كانت مختلفة ولكن معناها وأثرها الذهني ظل موجودًا بعد وقوعها وذهابها من الوجود.

والله هنا يذكر بها، ويهول ويفظع من شأنها، فصاغ الإشارة إلى ذلك في أسلوب الاستفهام المثير:

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

وهو استفهام المراد منه التهويل والتعظيم والتفظيع[15].

وسمي العقاب نكيرًا للدلالة على أنه مسبب عن أفعال ومواقف منكرة.

---

(١٥) كل ما في القرآن من صور الاستفهام الواردة في كلام الله الخالص غير المحكي هو استفهام مجازي لا يراد به علم شيء كان مجهولًا، وإنما يراد به معان أخرى كالإنكار والتقرير والتهويل... إلخ.

وفــي هذه التســمية إلماح إلى ضلالهم ونكارة ســلوكهم هذا في جانــب خدمــة المعنى. أمــا من حيث خدمــة اللفظ، فــإن الذي أداه حذف (الياء) هو تحقيق التوافق الصوتي في الفواصل، حيث أمكن مع حذف (الياء) الوقف على ﴿نَكِيرِ﴾ بالسكون.

حيــث كانت الفواصل قبلهــا هكذا: ﴿ٱلْأُمُورُ﴾ - ﴿ثَمُودَ﴾ - ﴿لُوطٍ﴾.

وكانت الفواصل بعدها هكذا: «مشيد - الصدور - تعدون».

وكذلــك حذف (الياء) مــن ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ و﴿ٱلتَّنَادِ﴾ في الآيتين الآتيتين:

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ (غافر: ١٥)

وقوله تعالى:

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾

(غافر: ٣٢)

(اليــاء) المحذوفة في هذين الموضعين ليســت ضمير المتكلم كما كان في الأمثلة الســابقة، بل هو من أصول الكلمة التي حذفت منها.

والــذي اقتضى حذف (اليــاء) في الموضعين الرمــز إلى أن كلا مــن ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾و﴿ٱلتَّنَادِ﴾ أمر غيبــي حتى الآن، ولن يكونا إلا يوم القيامة، وكل منهما كناية عنه.

هذا من حيث المعنى؛ وأما من حيث اللفظ فلأن ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ لما

حذف منه (الياء) سوغ هذا الحذف الوقوف عليه بالسكون كما هو الشأن في الفواصل التي تقدمت عليه، وهي «ينيب - الكافرون».

وكذلك التي أتت بعده، وهي: «القهار - الحساب - يُطاع».

أما «التناد» فقد أوفى بهذه المهمة كذلك، فكانت الفواصل قبله هكذا: «الأحزاب - العباد».

والفواصل التي بعدها هكذا: «هاد - مرتاب - جبار».

ومن نافلة القول أن نذكر - مرة بعد مرة - أن شدة التناسق في الإيقاع الصوتي[16] هو في نفسه خدمة جليلة للمعاني؛ لأن هذه الخصائص الصوتية تجذب الأسماع نحو القرآن، وهذا يترتب عليه إقبال القلوب، ثم العقول للتدبر، وفي هذا كله تيسير سبل الهداية، ثم إقامة الحجة على الجاحدين.

وجاء حذف (الياء) من اسم الفاعل الرباعي في قوله تعالى:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧)

وهذا رمز إلى سرعة هداية من يهديه الله - عز وجل - هذه واحدة.

والثانية: رمز إلى كمال هداية من هداه الله لأنها هدايتان:

هداية ظاهرة في سلوكه وخلقه وعمله، مما يراه الناس، وهداية باطنة كانت هي المصدر للهداية الظاهرة على حد قول الشاعر الحكيم:

---

(١٦) بعض الدارسين يطلقون على هذا: موسيقى القرآن، ولم نجارهم في هذا لعدم لياقته بكتاب الله.

وإذا حـلـت الـهـدايـة قـلـبـا
نـشـطـت فـي الـعـبـادة الأعـضـاء

ويدلـك فـي الآية نفسـها على هـذا المعنى المرمـوز له بحذف (الياء) الطرف المقابل وهو:

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾

فهـو مهمـا بُذلت الجهود في تحويله من الضـلال إلى الهدى لن تثمـر فيـه لأنه انغمس في الضلالة وحُـرم – عقابًا له – من رعاية الله عز وجل له.

وقد مر بنا أمثلة للحذف في الواو، أجمع علماؤنا على أن الحذف فيها دليل على سرعة حدوث الفعل، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾

(الإسراء: ١١)

وفي سـورتي (النمل) و(الروم) آيتان تكاد صياغتهما أن تكون واحدة ومع هذا التشـابه الكبير وردت فيهمـا كلمة واحدة مرتين، تلـك الكلمة هي اسـم الفاعل (هادي) في إحدى السـورتين وردت محذوفًـا منها (الياء) وفي الأخرى أثبت فيها (الياء) ولم يحذفها، والآيتان هما:

الأولى:

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾

(النمل: ٨١)

والثانية:

﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(الروم: ٥٣)

إن النظر في الآيتين يثير في النفس سؤالا مهمًا جديرًا فعلا بأن يُثار.

لماذا أثبت (الياء) في (هادي) في آية (النمل)؟

ثم لماذا حذفه منها في آية (الروم)؟

والآيتان عبارة عن آية واحدة كُررت مرتين؟

● وخلاصة ما يُقال فيهما:

إن ما أثبت فيه (الياء) كان المراد منه الهداية الحسية الظاهرة، وهي محالة في عمى الأبصار، أما ما حذف منه (الياء) فالمراد به الهداية القلبية الكلية، وهذا لا يختص به إلا الله - عز وجل - .

وهاتان الآيتان لهما في النظم القرآني المعجز شأن هو العجب حقًا:

فقد سُبقت كل منهما بآية تكررت بلفظها ومعناها مع اختلاف في حرف واحد مرتين، مرة قبل آية (النمل) ومرة قبل آية (الروم).

أما التي قبل آية (النمل) فهي:

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾

(النمل: ٨٠)

وأما التي في آية (الروم) فهي:

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾

(الروم: ٥٢)

قارن بينهما فإنك تراهما آية واحدة فعلا تكررت مرتين مع فرق طفيـف، هو أن آية (النمل) خلا مطلعهـا من أية أداة عاطفة، أما آية (الروم) فقد تصدرها حرف العطف الفاء: ﴿فَإِنَّكَ﴾.

وكذلك الآيتـان التاليتان لهما، لا فرق بينهما إلا إثبات (الياء) في ﴿هَادِىَ﴾ في آية (النمل) وحذفها في آية (الروم).

وإذا توسـعت قليـلا في النظر، بـان لك أن هذه الآيـات الأربع، أو الآيتيـن المكررتيـن مرتين، جاءت أو جاءتـا تعقيبًا على مواقف الكافريـن، وإصرارهم على الجحود مع كثرة العبر والآيات الكونية التي لفت الله أذهانهم إليها في السورتين الكريمتين.

وفـي هذا تسـلية له ﷺ لئلا يأسـى عليهـم، ومجموع هـذه الآيات فيه تشـبيهات ثلاثة للذين كفـروا: فهم موتى، وهم صم مدبـرون، وهم عمي لا يبصـرون، فلا موت ولا صمم ولا عمى علـى الحقيقة، وإنما نزلوا منزلة الموتـى في عدم الانتفـاع بالهدى، ومنزلة الصم في الإعـراض عن الإذعان لدعوة الحق ومنزلة العمي في عدم سيرهم وراء الدعاة إلى ما أنزل الله[١٧].

ج - الحذف في أسماء تكررت:

١- حذف الياء من كلمة «عباد»

وردت كلمة «عباد» مضافة إلى ضمير اسم الجلالة (الياء).

في بعضها نرى (الياء) مثبتة «عبادي» وفي بعضها نرى (الياء) محذوفًا، ولابد لهذا مـن دواع اقتضته في حالتي الإثبات والحذف، وهذا يتضح بعد ذكر الأمثلة إثباتًا وحذفًا.

---

(١٧) انظر في تفسير هذه الآيات: الكشاف للإمام الزمخشري، وتفسير أبي السعود، وروح المعاني للإمام الألوسي، تفسير سورتي: النمل والروم.

أولاً: أمثلة الإثبات:

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾

(العنكبوت: ٥٦)

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(الزمر: ٥٣)

ثانيًا: أمثلة الحذف:

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾

(الزمر: ١٠)

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴾ **(الزمر: ١٧)**

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾

(الزخرف: ٦٨)

التوجيه:

الأمثلة التي حذف فيها (الياء) قالوا فيها: إن الحذف رمز إلى معنى لطيف، أو معان لطيفة لا معنى واحد أبرزها ما يأتي:

- **إنه خطاب غير مباشر لعباد الله؛ لأنه خطاب من الله لرسوله الكريم ﷺ مأمور فيه بأن يبلغه لعباد الله.**
- **إنه خطاب غيبي بالنسبة للعباد، ظاهر بالنسبة لرسول الله ﷺ.**

● إن حـذف (الياء) فيه دلالة على قرب هـؤلاء العباد بأعمالهم من الله – عز وجل – والمقام يقوي هذا المعنى، فمثلا:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(الزمر: ١٠)

نجـد المنـادى ﴿عِبَادُ﴾ موصوفيـن بوصـف الإيمـان وزيادة الترغيب في تقوى الله.

وقوله تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ وإن لم يكن منادى فقد أمر الله رسوله أن يبشرهم وهذا تكريم عظيم.

وكذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾

(الزخرف: ٦٨)

المقام في هذه الآيات يقوي معنى أن الحذف فيه دلالة على قرب هؤلاء «العباد» من الله – عز وجل – .

وهذه المعاني لا تزاحم بينها، بل يجوز أن تكون هي كلها مرموزًا إليها بحذف (الياء).

وبعـض العلماء [١٨] يقول: إن سـبب الحذف فيهـا أنها خطاب للرسول ﷺ.

ولكن هذا الرأي مدفوع؛ لأن قوله تعالى:

---

(١٨) انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٠٠).

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾
(الزمر : ٥٣)

الخطاب فيه للرسول ﷺ ، وليس خطابا مباشرا للعباد ، بدليل قوله في أول الآية ﴿ قُلْ ﴾ فإن (الياء) حُذفت من كلمة ﴿ عِبَادُ ﴾ فلو كانت العلة هي مخاطبة الرسول ﷺ لوجب حذف (الياء) ، ومن قال بهذا الرأي قال : ما كان خطابا للعباد بتوسيط الرسول ﷺ ، بقول الله له :

﴿ قُلْ ﴾ يطرد فيه حذف (الياء) وما كان خطابا للعباد بدون توسيط الرسول بـ«قل» ثبت فيه (الياء) وهذا - كما تقدم - غير مسلَّم على إطلاقه ، فقد تقدم دفعه بآية (الزمر)

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾

لذلك وجب البحث عن علة أخرى لإثبات (الياء) وهي - فيما نرى :

- أن إثبات (الياء) له توجيهان :

الأول : أن الإثبات هو الأصل ، وما جاء على الأصل فلا يُسأل عنه .

الثاني : أن سبب إثبات (الياء) رمز إلى بُعد المنادى «عبادي» عن الله - عز وجل - لقصور في علاقاتهم به ، والسبب ظاهر جدا في المثالين اللذين ورد فيهما إثبات (الياء) وهما :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾

فهم عباد مسرفون على أنفسهم بالمعاصي ، وهذا من شأنه أن يبعدهم عن ألطاف الله ورحمته .

ثم:

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾

(العنكبوت: ٥٦)

فتذكيرهم بسعة أرض الله – عز وجل –، وأمرهم بتخصيصه بالعبادة فيه إلماح إلى نوع تقصير منهم أمام الله – عز وجل –.

ومما يدفع الرأي الذي أشرنا إليه من قبل أن كلمة «عباد» جاءت محذوفة (الياء) دون أن يكون في المقام توسيط للرسول ﷺ في خطابهم بـ «قل» وذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾

فقد حذف (الياء) في الخطاب المباشر الذي خلا من توسيط النبي ﷺ وحذفه هنا رمز إلى قربهم من تكريم الله لهم، وصفوة القول في هذا ما يأتي:

إن حذف (الياء) من كلمة «عباد» المضاف إلى ضمير اسم الجلالة لا يخضع لقاعدة واحدة، وهي كونها خطابا غير مباشر لهم.

بل منها ما يسلم توجيهه على هذه القاعدة، ومنها ما لا يسلم.

كما أن مجيء (الياء) مثبتا، وإن كان هو (الأصل) ليس لأنه خطاب مباشر لهم، بل له فوق كونه أصلًا اعتبارات دقيقة أشرنا إليها آنفا.

٢– حذف (الياء) من كلمة «رب»:

وذلك إذا: أضيفت إلى ضمير المتكلم المفرد، سواء كان مذكرًا في المعنى أو كان مؤنثًا، ولنبدأ بالأمثلة.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾

(البقرة : ١٢٦)

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(آل عمران : ٣٥)

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾

(آل عمران : ٣٦)

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾

(آل عمران : ٤٠)

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

(الأعراف : ١٥١)

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾

(يوسف : ١٠١)

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾

(إبراهيم : ٤٠)

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

(الحجر : ٣٩)

﴿ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾

(طه : ٨٤)

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾

(الأنبياء : ٨٩)

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾

(المؤمنون : ٣٩)

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾

(الفرقان : ٣٠)

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾

(النمل : ٤٤)

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الزخرف : ٨٨)

هذه أربعة عشر موضعًا وردت فيها كلمة «رب» محذوفة (الياء) المضاف إليه، وتركيز النظر والتأمل فيها يسفر عن الخصائص النظمية والبيانية الآتية:

إن كلمة «رب» فيها جاءت منادى.

إنها جاءت مضافة إلى (ياء) المتكلم المفرد، مذكرا ومؤنثا، والغالب هو التذكير.

محذوف منها حرف النداء (الياء).

إن موضعين منها ذكر فيهما حرف النداء (الياء).

إنها مستعملة في الدعاء إلا نادرا.

إنها - أعني كلمة رب - المراد منها (الله) - عز وجل -.

والذي يدخل معنا في أصل موضوعنا من هذه الدراسة هو حذف (الياء) المضاف إليه في كلمة «رب» المدلول عليه بالكسرة تحت (الباء) لأن هذا التصرف يعتبر «خصوصية» من «خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف» أما في الرسم الإملائي الحديث فيثبت حرف الياء هكذا «ربي» ولا يُحذف، فإذا حذف فهو مقتبس من رسم المصحف.

أما حذف «ياء» النداء فلا يعد من «خصوصيات الرسم العثماني».

وإنما له دواع بلاغية سنشير إليها - إن شاء الله - تعميما للفائدة.

مع ملاحظة أن في القرآن مواضع أخرى كثيرة حُذف فيها (الياء) المضاف إليه آثرنا الاكتفاء بما ذكرناه عنها توخيا للإيجاز.

أما السر الذي رمز إليه بحذف (الياء) المضاف إليه، في المواضع المذكورة قبلا وفي المواضع التي لم نذكرها فهو: التخفيف والتيسير؛ لأن كلمة «رب» تستعمل كثيرا في حياة المسلم في الدعاء وفي غير الدعاء، ولما كان كل حذف لابد أن يكون في الكلام دليل يدل عليه كانت الكسرة تحت (الباء) هي الدليل على (الياء) المحذوفة؛ لأن الكسرة من فصيلة (الياء) في النطق.

وقد تقدم مرات أن من قواعدهم في الحذف الرمز إلى أن المحذوف منه أمر غيبي، وهذا وارد هنا؛ لأن «رب» من حقائق الإيمان الغيبية،

أو ما يطلق عليه في الفكر الفلسفي (ما وراء الطبيعة)[١٩]، ولهذا وذاك:

فإن (الياء) حُذفت من كلمة «رب» في القرآن الكريم إذا كانت منادى مضافا إلى ضمير المتكلم المفرد، في جميع مواضع ورودها في الذكر الحكيم.

أما حذف (ياء) النداء معه، حيث لم يذكر إلا في موضعين، فله معنيان متلازمان:

الأول: الرمز إلى أن المنادى (الذات العلية) قريب من الداعي (المنادي) وأداة النداء (الياء) ينادى به البعيد، والله ليس بعيدًا كما قال هو - عز وجل -:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٦)

الثاني: هو التخفيف والتيسير؛ لأن قوله تعالى ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ ﴾ (الأعراف: ١٥١)

أخف في الأداء من: (ربي)

أما الموضعان اللذان ذكر فيهما (ياء) النداء، وهما:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠)

---

(١٩) ما وراء الطبيعة مصطلح فلسفي المقصود منه معرفة ما لا يدرك بواحدة من الحواس الخمس:

(البصر - السمع - الذوق - المس - الشم) وطريق معرفة ما وراء الطبيعة هو الوحي الإلهي وإخبار الرسل.

﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾

(الزخرف: ٨٨)

فإن هاتين الآيتين تحكيان قول صاحب الرسالة ﷺ والموضعان واردان في مقام الشكوى من قومه.

ففي آية الفرقان يشكو عليه السلام قومه إلى ربه لهجرهم القرآن.

وفي آية الزخرف يشكوهم إلى ربه لإعراضهم عن الإيمان مع حرصه الشديد على إيمانهم، وحب الخير لهم.

ومقام الشكوى مقام إطناب لا مقام إيجاز كما هو معروف بلاغة

ولا يفهم من ذكر (ياء) النداء هنا، أن الرسول ﷺ استشعر بعد ربه عنه - حاش لله - وإنما استشعر بعده هو عن ربه، متوهما أن تقصيرًا ما في مجال الدعوة حدث، كان نتيجته هجر قومه للقرآن، وإعراضهم عن الإيمان.

لذلك ناداه نداء المنادى البعيد بدلًا من المنادى القريب.

وليس هذا الشعور ببعيد عن الذين يخشون ربهم كل الخشية، ورسولنا الكريم ﷺ إمام المتقين، الذين قال الله فيهم:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾

(المؤمنون: ٦٠) [٢٠]

ولم يذكر في غير هذين الموضعين حرف النداء (يا) في القرآن الكريم، لا في «رب» المضاف إلى ضمير المتكلم - وقد مرت

---

(٢٠) انظر مفردات الراغب «٤٨٧».

بعض شــواهده – ولا في المضاف إلى ضمير الجمع المتكلم، ومن شواهده يأتي:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ ﴾

(البقرة: ٢٨٦)

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾

(آل عمران: ٨)

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾

(آل عمران: ٩)

﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾

(المائدة: ١١٤) [٢١].

٣- حذف الياء من كلمة «قوم»:

ومــن الكلمــات التــي لازمها حــذف (اليــاء) إذا كانــت منادى مضافًــا إلى ضمير الفرد المتكلم، كلمة «قوم» فهي دائما في القرآن ﴿يَٰقَوْمِ ﴾ محذوفة (الياء) مدلولا عليه بالكسرة تحت (الميم).

ومن أمثلتها الآيات الآتية:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ﴾(البقرة: ٥٤)

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ﴾

(الأنعام: ١٣٥)

(٢١) انظر دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مناهج تطبيقية في توظيف اللغة.

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾

(الأعراف : ٥٩)

﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ ﴾

(يونس : ٨٤)

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾

(هود : ٢٨)

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾

(النمل : ٤٦)

﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ ﴾

(غافر : ٣٩)

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾

(يس : ٢٠)

﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف : ٥)

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ (نوح : ٢)

هذا قليل من كثير، من مجيء كلمة «قوم» مضافة إلى ضمير المفرد المتكلم، محذوفًا منها (الياء) المضاف إليه.

ولم يأت هذا الحذف اعتباطاً خالياً من الدلالة على معنى، بل له معنى من أجله كان حذف (الياء) من كلمة

«رب» التي تقدم الحديث عنها.

بيد أن المعنى المرموز إليه بحذف (ياء) - «رب» يختلف عنه المعنى المرموز إليه بحذف (ياء) - «قوم».

المعنى المرموز إليه بالحذف في «قوم» هو الدلالة على أن المتكلم منفصل عن المخاطب من جهة، وممتزج به من جهة أخرى.

هو ممتزج بالمخاطبين عن طريق إضافتهم إلى ضميره؛ لأن من يضيف «قوم» إلى ضميره دل على أنه واحد منهم، وإلا لما صحت الإضافة، أما انفصاله عنهم باعتباره مخاطبًا لهم وهم يسمعون خطابه فقد رمز للدلالة على هذا المعنى بحذف (الياء) الذي هو كناية عن المتكلم [٢٢].

ولسائل أن يقول:

ما الفائدة من الإيماء إلى أن المنادي قومه منفصل عنه؟

وهل هذه الإشارة يترتب عليها كبير معنى؟

والإجابة عن هذا السؤال نوجزها فيما يأتي:

ليس المراد الإشارة اللطيفة إلى الانفصال الحسي بين القوم وبين من يناديهم بـ (ياقوم) بل المراد فيما نفهم هو الإشارة إلى تفاوت الرتبة بين المنادي والمنادى لأن المنادي رائد قومه يخاطبهم خطاب الرائد الرشيد وهذا يتضح من النظر في مضامين النداءات الآتية:

فقول موسى عليه السلام:

---

(٢٢) النحاة يطلقون على كل ضمير مصطلح (كناية)، وهي غير الكناية البلاغية التي هي إطلاق اللفظ وإرادة لازم معناه.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾

(البقرة: ٥٤)

يناديهم موسى منـاداة الناصح الأمين فيذكرهـم بخطئهم الذي وقعوا فيه ويدعوهم إلى التوبة إلى الله وفي هذا تمايز بين الرتبتين:

رتبة موسى وهو رسول الله المبعوث هاديًا إلى بني إسرائيل، ورتبة قومه الوالغين فى الآثام والمعاصي.

فجاء حذف (الياء) من ﴿يَٰقَوْمِ ﴾ مشعرًا بأن موسى - عليه الصلاة - بريء مما وقع فيه قومه فرتبته فوق رتبتهم ولم يكن شريكًا لهم فى معاصيهم.

وقول مؤمن يس:

﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

دل حذف (الياء) على رفعة رتبة هذا المؤمن إذ هو مؤمن بالرسل متبع لهم وقومه كافرون بالرسل عاصون لهم، فهو من هذه الجهة منفصل عنهم وإن كانوا قومه فهو واحد منهم وخيط فى نسيجهم باعتبارهم قومه ومنفصل عنهم معنى؛ لأنه مهتد وهم ضالون.

وقول نوح لقومه:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

مخبر لهم بأنه رسول الله إليهم يخاطبهم خطاب العالم لغير العالم فجاء حذف (الياء) فى ﴿يَٰقَوْمِ ﴾ ليدل على انفصاله عنهم من حيث العقيدة والعمل وإن كان واحدًا منهم لأنهم قومه.

وقول مؤمن آل فرعون لقومه:

﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾

فيه تحذير لهم من الركون إلى الحياة الدنيا ويرغبهم في الحياة الآخرة فهو ناصح لهم يعلم ما لا يعلمون ويعمل ما لا يعملون.

ومن أجل هذه الفروق بينه وبين قومه حذف (الياء) ليدل هذا الحذف على انفصاله عنهم عقيدة وسلوكًا وإن كان واحدًا منهم لأنهم قومه.

وهكذا اتضح لنا أن حذف (الياء) المضاف إليه في ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ليست دلالته الانفصال الحسي بل دلالته الانفصال (الرتبي) فرتبة المنادي فوق رتبة القوم الذين يناديهم.

وهذا المعنى جدير بلفت الأذهان إليه فجاءت هذه «الخصوصية» وهي حذف (الياء) رمزًا له.

٤- حذف الياء من كلمة (واد):

وكذلك حذف (الياء) من كلمة «واد» في المواضع الآتية:

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾

(طه: ١٢)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾

(النمل: ١٨)

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

(القصص: ٣٠)

﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾

(النازعات: ١٥ – ١٦)

(الياء) المحذوفة من «الواد» في الآيات الأربع ليست اسمًا ولا ضميرًا وإنما هي أصل من أصول الكلمة وأسباب الحذف والأسرار اللطيفة التي كان من أجلها الحذف يختلف من موضع لآخر.

ففي «الواد المقدس» حذف (الياء) للتنويه برفعة مكانة هذا «الواد» ولسرعة إجراء الوصف بالتقديس عليه.

وكذلك ﴿ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ وقد وصفه الله –عز وجل– بما يبين فضله وعلو مكانته.

وقد رمز إلى هذا الفضل بحذف (الياء) ثم وصف الواد بالأيمن ثم البقعة المباركة.

أما ﴿وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ فإن (الياء) حذفت فيها رمزًا إلى معنى آخر مغاير للمعنى الذى تقدم في حذف (الياء) من «واد» في الآيات الثلاث الآنفة الذكر.

ذلك المعنى هو خفاء الوادي وخفاء النمل المقيم فيه.

وقد تقدم أن حذفه في بعض الأفعال كان رمزًا على معنى «الغيبة» في مثل:

﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴾

(القمر: ٦)

وهذا المعنى قد تحقق في ﴿وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ لأن سليمان عليه السلام وجنوده لم يكونوا يعرفون هذا الوادي وهم يبدءون السير فيه ولذلك قالت النملة:

﴿ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾

فنفت عنهم الشعور بالواو وبما فيه من النمل والشعور هو أول درجات الإِحساس.

وهكذا كان حذف (الياء) في الآيات الأربع رمزًا على معنى لطيف وسر طريف.

وقد توفرت في المواضع الأربعة شروط الحذف البياني البليغ.

فمقتضى الحذف هو الدلالة على المعاني اللطيفة التي سبقت الإِشارة إليها.

ودليل المحذوف هو الكسرة تحت الدال في جميع المواضع التي حذف فيها (الياء) في الأفعال والأسماء.

٥- حذف الياء من كلمة (الجوار):

وحُذفت (الياء) من كلمة «الجوار» ثلاث مرات في القرآن الكريم والأصل «الجواري» والمواضع الثلاثة التي حذفت فيها (الياء) هي:

﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴾

(الرحمن: ٢٤)

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴾

(التكوير: ١٥، ١٦)

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴾

(الشورى: ٣٢)

وحذف (الياء) في سورتي الرحمن والشورى من كلمة ﴿ ٱلۡجَوَارِ ﴾ له معنيان:

أحدهما: الدلالة على توفير العناية بالحدث «الجري».

والثاني: سرعة الجري ويسره بتدبير الله عز وجل بدليل قوله تعالى:

﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ﴾

أي: له هو لا لغيره ولو شاء لتوقفت عن الجري، بدليل قوله تعالى:

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾

(الشورى: ٣٣، ٣٤)

وحذف (الياء) هو الذي أومأ إلى هذين المعنيين، أما توفير العناية بالحدث فله دليل آخر هو:

حذف الموصوف «السفن» وإقامة الوصف «الجوار» مقامه.

وقد مر أن (الياء) قد رمز به إلى سرعة وقوع الحدث في مواضع تقدم الحديث عنها في بحثي الأفعال والأسماء الآنفة الذكر.

وأما قوله تعالى:

﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾

فإن حذف (الياء) مع رمزه إلى سرعة الجري فإنه رمز كذلك إلى غيبية هذا الجري وعلويته؛ لأنه لا يدرك بالعين الباصرة وإن كان شأنه أن يدرك بها.

٦- حذف الياء من (المتعال) و(متاب) و(عقاب):

وكذلك حذف (الياء) من ثلاث كلمات في سورة واحدة على الترتيب الآتي:

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾

(الرعد: ٩)

﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾

(الرعد: ٣٠)

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

(الرعد: ٣٢)

والحـذف فـي الكلمات الثلاث مرمـوز به إلى معـان دقيقة كما تقدم:

ففـي ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ (الياء) المحذوف أصل مـن أصول الكلمة وأصله «واو»؛ لأنه اسم فاعل من مادة: علا يعلو ولهذا الحذف معان لا معنى واحد فإذا أجريناه على القواعد التي ذكرت من قبل صح أن يكون الحذف دالًا على أن الله تعالى له الغيب الكلي الذي لا يشـرك فيه أحدًا.

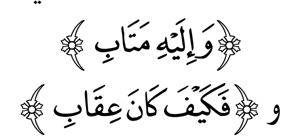
- وأن يكـون الحذف دالًا علـى غيبية هذا التعالي الذي لا يحيط به أحد غير الله عز وجل.

- والمعنى الثالث هو تحقيق التناسـق الصوتي؛ لأن فاصلة الآيات التي قبلها يصح الوقوف عليها بالسكون وكذلك الآيات التي بعدها هكذا:

«متـاع - أنـاب - القلوب - مئـاب - متاب - الميعـاد - عقاب - هاد - واق» ولـو كان (اليـاء) قـد ذكر ولم يحذف ما تحقق هذا التناسـق والانسجام.

وقد تقدم مرات أن بناء فواصل الآيات بما يحقق هذا التناسق فيه خدمة للمعنى واللفظ ولا يقتصر على خدمة التناسق الصوتي؛ لأنه يجذب سمع السامعين وفي هذا إقبال للقلوب على سماع كتاب الله وهذا الإقبال يمكن القلوب والعقول من تدبر معاني القرآن وتذوقها فيدعوهم ذلك للإيمان به والعمل بمقتضاه وإقامة الحجة لله على من أعرض أو كفر.

وهذا المعنى ينطبق على حذف (الياء) في الآيتين الأخريين:



﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾

و ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

بيد أن ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فيه رمز آخر لمعنى لطيف؛ لأن المراد بـ﴿عِقَابِ﴾ المعنى الذهني لما أنزله الله من الجزاء الوفاق لمكذبي الرسل وليس المراد الحدث نفسه أعني العذاب الذي وقع بهم فعلًا.

لأن ذلك العذاب وقع في زمن قديم فلا يمكن مشاهدته ساعة نزل القرآن فهو مثل:

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾

الذي سبق الحديث عنه.

وإن شئت فقل: إن حذف (الياء) في كلمتي ﴿عِقَابِ﴾ و﴿نَكِيرِ﴾ يرمز إلى غيبية وقوع الحدث وبقاء ذكره، ثم ارجع إلى

المصحف وانظر فيما تقدم وما تأخر عن هاتين الكلمتين تجدهما أسهما في تحقيق الإيقاع الصوتي الآسر للسمع والقلوب.

٧- حذف الياء من كلمة (دعاء) و(الجواب) و(عقاب) و(دين):

قوله تعالى:

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾

(إبراهيم: ٤٠)

وحذف (الياء) من كلمة ﴿دُعَآءِ﴾ رمز إلى رغبته الشديدة عليه السلام في سرعة استجابة الله له مع تحقيق التناسق في الإيقاع الصوتي وقد أشرنا من قبل أن فيه رعاية للمعنى واللفظ معًا.

وفي سورة «سبأ» ورد حذف (الياء) في قوله تعالى:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾

(سبأ: ١٣)

فقد حذف (الياء) من كلمة (الجَوَابَ) جمع جابية وهي البئر الواسع أو الحياض التي يجمع فيها الماء.

وقد وجه حذف (الياء) الإمام ابن عطية أنه للتخفيف والإيجاز، ومعروف أن المفسرين لا يكترثون كثيرًا بخصوصيات الرسم القرآني كعلماء علوم القرآن، والذي نراه في توجيه حذف (الياء) هنا بناء على ما ذكره أهل العلم من قواعد في توجيه هذه الخصوصيات:

أن الحذف رمز إلى الفرق بين المشبه (الجفان) وبين المشبه به (الجَوَابَ).

فالجفان مهما كانت ضيقة أو واسعة فهي بارزة فوق الأرض يراها الناظر إليها من بعيد.

أما (الجَوَابَ) فهي أماكن غائرة في الأرض.

فهي تختفي أمام النظر ولا يدركها إلا من وقف على حافتها.

وقد تقدم كثيرًا أنهم فسروا حذف (الياء) لوجوه منها الرمز إلى الخفاء أو الغيبية.

وإعمال هذه القاعدة في (الجَوَابَ) ليس بمستنكر، وهذا التوجيه أحرى بالقبول من توجيه الإمام (ابن عطية)؛ لأنه لو كان هو المراد لاطرد فيما ماثل هذه الكلمة (الجَوَابَ) في القرآن كله.

وأحرى بالقبول من توجيه الإمام الزركشي؛ لأنه مضطرب العبارة وغير مفهوم [٢٣] أما قوله تعالى:

﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾

(ص: ١٤)

بعد قوله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾

(ص: ١٢، ١٣)

(٢٣) عبارة الإمام الزركشي في توجيه حذف «الياء» من «كالجوار» هي: وكذلك «كالجوار» من حيث التشبيه فإنه ملكوتي، إذ هو صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملكي البرهان في علوم القرآن (١/٤٠٢).

فيحتمل فيه حذف (الياء) من كلمة ﴿عِقَابِ﴾ وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد من ﴿عِقَابِ﴾ ما حل بهؤلاء القوم من عذاب الله العاجل لما كذبوا الرسل ويكون الحذف رامزًا إلى المعنى الذهني المتعلق بذلك العذاب الذي وقع قبل النزول للقرآن.

الثاني: أن يكون المراد من ﴿عِقَابِ﴾ ما أعده الله لهؤلاء المكذبين من الخلود في النار في الآخرة ويكون الحذف حينئذ رامزًا إلى غيبية ذلك العقاب لأنه سيكون في الآجلة.

فإن كان الأول فالغيبية فيه نسبية مراعى فيها الزمن الذي وقع فيه ذلك العقاب والزمن الذي نزل فيه القرآن مخبرًا بوقوعه.

وإن كان الثاني كانت «الغيبية» فيه حقيقية من كل وجه؛ لأنه سيقع بعد الإخبار عنه.

- ومثل هذه الآية في احتمال الوجهين في حذف (الياء) قوله تعالى:

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾

(ق: ١٤)

أي: ما حل بهم في الدنيا أو ما أعده الله لهم في الآخرة.

ونختم مبحث حذف (الياء) بهذه الآية:

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾

(الكافرون: ٦)

وحذف (الياء) هنا يرمز إلى معنى لطيف وهو الإشارة إلى كمال الدين المضاف إلى ضمير المتكلم محمد ﷺ هذا من حدث المعنى، أما من حيث اللفظ فهو تحقيق التناسق الصوتي؛ لأن فواصل السورة

كلهــا مُبتنــاه على أحرف : النــون ـ الدال ـ الميــم الصالحة للوقوف عليها بالســكون ، هكذا «الكافرون ـ تعبدون ـ أعبد ـ عبدتم ـ أعبد ـ ديــن» ولو كان قد ذكــر (الياء) في ﴿دِينِ﴾ هكذا : «ديني» لاختل الوقف عليه بالسكون .

أما دلالة حذف (الياء) على كمال الدين فقد تقدمت له نظائر منها :

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ﴾

(الروم : ٥٣)

فحــذف (الياء) مــن ﴿هَادٍ﴾ رمزًا إلى الهدايــة العظمى التي لا يملكها إلا الله عز وجل [٢٤] .

جـ- زيادة ونقص الألف:

الألف ـ زيادة ونقصًا ـ من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشــريف وزيادتــه ونقصه لم يكــن عبثًا بل له لطائف وأســرار ذات معانٍ لم تكن تتصور إلا من وراء زيادة الألف أو نقصه .

وها نحــن أولاء نعرض بعــض المواضع من الذكــر الحكيم التي يــزاد فيها «الألف» أو ينقص بادئين بمواضع الزيادة وأســرارها لقلة الكلام على الزيادة بالنســبة للنقص وذلك كله على غرار ما سلكناه في مباحث زيادة وحذف «الواو» وزيادة وحذف (الياء) .

أولاً: زيادة «الألف»:

١ – من أظهر زيادات «الألف» : الألف المزيدة في قوله تعالى :

(٢٤) الهدايــة العظمى هــي الهداية القلبية بنصب الدلائــل الموصلة إلى الحق الذي لا يشوبــه زيغ وتقابلها الهدايــة الحسية، كالدلالة على الطريق بــين مكانين وهذه من مقدورات البشر.

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾
(النمل : ٢١)

بالنظر في ﴿لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ تجده فعلًا مضارعًا مسبوقًا بـ «لام» القسم أو التوكيد وبعد «اللام» الهمزة التي هي علامة الفعل المضارع وبعد هذه الهمـزة تجد ألفًا بين الهمزة وبين أحـرف الفعل وأولها حرف «الذال».

انطق الفعل في صورته «المضارعية» ولاحظ كيفية «النطق».

«الألف» بعد الهمزة غير منطوقة، أي إن وجوده وعدمه سواء في النطق.

إذن هـو حـرف زائد؛ لأنه يُكتـب ولا يُنطق، وهو بهـذا الاعتبار خصوصية من خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف.

أما المعنى اللطيف، الذي من أجله كانت زيادة «الألف» فهو كما قال العلماء: الإشـارة إلى أن مـا بعد «الألف» وهو «الذبح» الـذي توعد به سـليمان عليه السلام الهدهد، أقسـى وأشـد إيلامًا مما قبله، وهو «التعذيب»، الذي تضمنه الفعل ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ﴾ [٢٥].

٢- ومن الشواهد زيادة «الألف» في قوله تعالى:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(يوسف: ٨٧)

الفعـل ﴿يَاْيْـَٔسُ﴾ تكرر في الآية الكريمـة مرتين، وفي كل مرة جـاءت فيه زيادة «الألف» بعد (الياء) الأولى، وقبل (الياء) الثانية،

---

(٢٥) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٨١).

وعلامة زيادة «الألف» أنه كُتب ولم ينطق؛ لأن الذي يظهر في النطق هو الياءان متتابعين في النطق بلا فاصل، أما في الرسم العثماني فإن حرف «الألف» فصل بينهما كما ترى ذلك واضحًا في رسم الفعلين.

أما من حيث المعنى فإن لحرف (الياء) المزيد سرًا لطيفًا نص عليه العلماء.

وبيان ذلك أن «اليأس» مرحلة نفسية لا يكون حدوثها ابتداءً بلا مقدمات وإنما يسبقها مرحلة أخرى، والعلاقة بين المرحلتين علاقة السبب بالمسبب أو علاقة المسبب بالسبب.

اليأس لا بد أن يسبقه رجاء وطول ترقب وانتظار.

ومع طول الترقب والانتظار لا بد من الصبر، والصبر من الأمور الشاقة على النفس، وبخاصة إذا كان طويلًا.

ومهما كان الأمر فإن الصبر أخف وقعًا على النفس من «اليأس»؛ لأن الصبر يصاحبه أمل في الحصول على المطلوب، أما «اليأس» فهو قطع الرجاء مع خيبة الأمل.

لذلك كانت زيادة «حرف الألف» إشارة إلى ثقل «اليأس» وشدة آثاره على النفوس.

ومن شأن «اليأس» أن يدعو إلى توقف السعي والاستسلام إلى الأمر الواقع.

فإذا عدنا إلى قول يعقوب عليه السلام إلى بنيه:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾

(يوسف: ٨٧)

نجد هذا الرسول الكريم يريد أن يثبِّت بنيه على الصبر والسعي وحسن الظن في الله، ونهاهم عن «اليأس» لأنه سوف يثبط هممهم، ويصيب حركتهم بالشلل التام.

ومن أجل هذه «اللطيفة» كانت زيادة «الألف» رمزًا للدلالة على هذا المعنى.

٣- ومنه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا قَلِيلٌ ﴾

(الكهف: ٢٣)

لاحظ رسم كلمة﴿ لِشَاْىْءٍ ﴾ تجده على غير المعهود في الرسم المصحفي فعلى كثرة ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم لم تأت فيها زيادة «الألف» بين «الشين» و(الياء) إلا في هذا الموضع.

فلماذا جاء حرف «الألف» فيها هنا، مع خلو كل كلمة «شيء» منه، وقد وردت فيه مئات المرات؟

والجواب هو:

إن كلمة ﴿لِشَاْىْءٍ ﴾ في آية «الكهف» لها معنى يختلف اختلافًا يسيرًا جدًا عن معاني كلمة «شيء» بدون زيادة «الألف» الملحوظة في آية «الكهف».

وهذا المعنى المرموز إليه بزيادة «الألف» هو: أن كلمة ﴿لِشَاْىْءٍ ﴾ هي الوحيدة في القرآن التي تدل على أن شاىْء لا يكون موجودًا حين إجراء الحديث عليه.

والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾

يعني أنه شائْء سيفعل بعد زمن التكلم : غدًا أو بعد غد .

﴿لِشَاْىْءٍ﴾ **الذي في آية «الكهف» مقطوع بعدم وجوده ساعة التكلم .**

أما فيما عدا آية «الكهف» فلم تخضع معانيها للقطع بعدم الوجود ، وهكذا انفرد معناها من بين أخواتها في القرآن الكريم ، فانفرد رسمها الخطي تبعًا لانفراد معناها .

إن هذه الخصوصية لهي من أبرز وأدق تلك الخصوصيات القرآنية .

٤- زيادة حرف «الألف» في كلمتين أخريين من كلمات القرآن الكريم :

الأولى:

﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(المائدة : ٢٩)

الثانية:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾

(القصص : ٧٦)

والكلمتان هما : ﴿تَبُوٓأَ ﴾ والأصل قبل الزيادة «تبوء» .

والثانية : ﴿ لَتَنُوٓأُ ﴾ والأصل قبل الزيادة : «لتنوء» ، والمعنى

المرمـوز إليه بزيادة «الألف» في﴿ تَبُوٓأَ ﴾ هو الإشـارة إلى مضاعفة «الإثم» المشار إليه في ﴿بِإِثْمِى ، وَإِثْمِكَ ﴾.

والمعنى المرمـوز إليه في﴿ لَتَنُوٓأُ ﴾ هو ثقل مفاتح الكنوز التي مَنَّ الله بها على قارون، وثقل ما في الكنوز من خزائن المال.

فأنـت ترى ماذا دلت عليه زيادة «الألف» في هذين الفعلين، وأن الزيادة لم ترد عبثًا، بل لمعنى لطيف.

٥- ومما جاءت زيادة (الألف) فيه قوله تعالى:

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾

(الفجر: ٢٣)

والزيـادة ظاهرة فـي الفعـل الماضـي ﴿ وَجِاْىٓءَ ﴾ والأصل قبل الزيادة (جيء) لأنه فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله.

أما المعنى اللطيف المرمـوز إليه بهذه الزيادة فهو لفت الأذهان إلـى أن هذا (المجـيء) غير معهود لدى الناس لأنهـم في الدنيا لم يروا جهنم لا قارة ولا قادمة ولا ذاهبة.

لكنهم -مؤمنين وغير مؤمنين- سيرونها (جائية) يوم القيامة.

ويضاف إلى هذا المعنى معنى آخر يفهم من السـياق وهو تهويل وتفظيع هذا المجيء، والترويع منه.

ومما يؤكد أن هذه الزيادة قُصد منها هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(الزمر: ٦٩)

فهـذا المجيء مثل المجيء الأول غيـر معهود لدى المخاطبين ؛ لأنهم لم يروا في الدنيا موكبًا يسـير فيه النبيون والشـهداء قادمين في طريق واحد .

فكانت الزيادة فـي الموضعين رمزًا على غرابة المجيء وتهويله في الأول وعلى غرابته وتعظيمه في الثاني .

٦- وقد يزاد (الألف) في كلمات فواصل الآيات :

رمزًا إلى معنى لا تدل عليه نفس الكلمة في درج الآية ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾

(الأحزاب : ٦٦)

والأصل في الرسـم قبـل الزيادة : الرسـول ، فجـيء بالألف بعد (اللام)[٢٦] .

والمعنى الذي رُمز إليه بهذه الزيادة هو شدة التحسر والندم ؛ لأنهـم تمنوا طاعة الله وطاعة رسـوله بعد فـوات الأوان ؛ لأنهم قالـوا هذا الـكلام وهم في النار ، وشـبيه بهذه الزيـادة في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾

(الأحزاب : ٦٧)

هـذا الـكلام صدر منهـم عن طريق الشـكوى والتفجـع فزيدت

(٢٦) هــذه (الألف) تسمى: ألف الإشباع وألف الإطــلاق، أي: إطلاق الصوت ومده من ألم وشكوى.

(الألف) كاشفة عن الأسى الشديد الذي يعتمل في نفوسهم.

٧- ومثـل هاتين الآيتين، أو قريبة منهما كلمة ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ في قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا﴾

(الإنسان: ٤)

لأن كلمة (سلاسل) ممنوع من الصرف، فحقها أن تُنصب بالفتحة، بلا تنوين لكنا نراها في الرسم القرآني زيدت فيها الألف بعد اللام الأخيرة، لكن هذه الألف غير منطوقة، فهي زائدة في الخط، غير زائدة من حيث المعنى.

لأن المقام مقام تهويل وتفظيع لما أعده الله للكافرين من آلات العذاب المهين.

وهي السلاسل، والأغلال، والسعير، وقد دُلَّ على التهويل فيها بـ(التنكير) لأن الكلمات الثلاث جاءت منكرة لا معرفة.

واختصت كلمة ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ بزيادة تدل على التهويل لشأنها، وشدة إيذائها للكافرين، هي زيادة الألف في آخرها[٢٧].

٨- زيادة حرف (الألف) بعد الميم في (مائة ومائتين) في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا

---

(٢٧) وقيل إن إثبات الألف في ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ لأن بعض القراء قرأها منونة، انظر المغني في القراءات (٢٦٦/٣) للدكتور محمد سالم محسن.

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾

(الأنفال : ٦٥)

والأصل أن تكتب (مائة ومائتين) بدون ألف، والمعنى الذي من أجله كانت هذه الزيــادة هو رفع اللبس إذا كُتبتا بدون (ألف) بين: مئة وفئة، ومئتين وفئتين.

لأن الفــرق بين مئة وفئة، ومئتين وفئتين هو نقطة (الفاء) وهذه النقطة قد تسقط في الخط سهوًا، فجاءت زيادة (الألف) رافعة لهذا اللبس.

لا يقــال إن كتابــة مئــة ومئتيــن بزيــادة (الألــف) ليســت مــن (خصوصيــات الرســم القرآنــي)؛ لأنها شــائعة كذلك في الرســم الإملائي الحديث.

لأنا نقول:

إن الرسم الإملائي الحديث فيه اقتباسات كثيرة من خصوصيات الرســم القرآني وكتابــة مئة ومئتين مــن هذه الاقتباســات، وغيرها كثير، مثل ذلك:

هذا، هذه، أولئك، هؤلاء، الملأ. . .إلخ.

٩- وزيد (الألف) في كلمة ﴿ قَوَارِيرَ ﴾ مرتين في قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴾

(الإنسان: ١٥ ، ١٦)[٢٨]

---

(٢٨) قدروهـــا: جعلوها مناسبة لكميات الشراب الـــذي يسقاه أهل الجنة على اختلاف مقادير الشراب، بحيث يحتسي الشارب الكمية التي يحتوي عليها الكوب ولا يُبقِي منه شيئًا وليس معنى قدروها: قدروا نوع المادة المصنوع منها الكوب.

زيدت (الألف) لأن الأصل: (قوارير) والكلمة ممنوعة من الصرف وحقها النصب بالفتحة بدون تنوين مثل كلمة سَلَٰسِلَاْ التي تقدمت.

والمعنى المرموز إليه بزيادة (الألف) هو التنبيه على شدة بياض الأكواب.

لذلك زيد (الألف) للفت الذهن إلى ذلك المعنى الذي يرف وراء تلك الزيادة وهو الإلماح إلى شدة الصفاء والبياض، وهما صفتان يزكو بهما هذا (المعدن) النفيس.

١٠- كما وردت زيادة (الألف) في كلمة (لؤلؤ) في قوله تعالى:

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

(فاطر: ٣٣)

والأصل قبل زيادة (الألف): (لؤلؤ)، ومثلها الآية (٢٣) من سورة الحج.

١١- ومثله قوله تعالى:

﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾

(يونس: ٣٠)

١٢- وقوله تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

(الروم: ٣٩)

١٣- وقوله عز وجل:

﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

(الرعد: ٣٩)

١٤- وقوله جل شأنه:

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾

(الزمر: ٩)

فالأفعال: ﴿تَبۡلُوَاْ - يَرۡبُوَاْ - يَمۡحُواْ - يَرۡجُواْ﴾، زيد في آخرها (الألف) لأنه لا ينطق وليس من أصول الأفعال التي زيد فيها.

فهو -إذن- زائد في الخط، غير زائد من حيث المعنى.

لأنه رمز بزيادته للدلالة على تكثيف دلالات الفعل مقارنًا بدلالة الاسم.

ومُحالٌ أن تكون زيادته لغير معنى؛ لأنه حينئذ يكون حشوًا، وكتاب الله العزيز

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾

(فصلت: ٤٢)

التطبيقات التي أجريناها على القاعدة الكلية في زيادة (الألف) في أواخر بعض الأفعال، هي الأصل، وقد توسعوا في صور زيادتها، في غير الفعل المضارع المسند إلى ضمير الفاعل المفرد، كما نقلوه من الفعل المعتل الآخر (الناقص) إلى غيره من الأفعال الصحيحة الآخر.

١٥- فقد جاءت هذه الزيادة في الفعل الماضي، كما في قوله

تعالى:

﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾

(الفرقان: ١٣)

زيادة (الألف) تلحظها في الفعل ﴿دَعَوْاْ﴾ وهو وإن كان معتل الآخر بـ (الواو) فإنه فعل ماض لا مضارع.

١٦- ومثله في المضي والاعتلال قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾

(الحج: ٥١)

الفعل ﴿سَعَوْاْ﴾ زيد فيه (الألف بعد الواو) وهو ماض معتل بـ(الياء) لأن مصدره (السعي) والواو هي واو الجماعة؛ لأن الفعل غير مسند إلى ضمير المفرد، والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو المعنى نفسه الذي كنوا عنه بـ (ثقل الفعل) مقارنًا بخفة الاسم كما تقدم.

١٧- ومن أكثر ما توسعوا فيه، في زيادة (الألف) خارج دائرة (القاعدة) ما يأتي:

● كل فعل مضارع صحيح الآخر أو معتل الآخر إذا دخل عليه ناصب أو جازم.

وهاك الأمثلة:

﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٨٤)

والشاهد: ﴿تَصُومُواْ﴾ وهو صحيح الآخر منصوب بـ (أن).

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾

(الجن : ١٨)

والشاهد ﴿تَدْعُواْ﴾ وهو معتل الآخر مجزوم بـ (لا) الناهية.

● كل فعل أمر مسند إلى (واو الجماعة) كقوله سبحانه:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾

(آل عمران : ١٠٣)

والشاهد ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ - ٱذْكُرُواْ ﴾ وهما صحيحا الآخر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

(الجمعة : ٩)

والشاهد (اسعوا) وهو معتل الآخر.

● كل فعل ماض أُسند إلى (واو الجماعة) سواء كان معتلًا أو صحيحًا كقوله عز وجل:

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ﴾

(المائدة: ٧١)

والشاهد: ﴿عَمُواْ - وَصَمُّواْ ﴾وهما صحيحا الآخر.

وقوله تعالى:

﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ﴾

(البقرة: ٢٠)

والشاهد: ﴿مَّشَوْاْ -قَامُواْ ﴾الأول معتل الآخر والثاني صحيح

الآخر. وأمثلة هذه الصور لا تكاد تحصى في كتاب الله عز وجل.

موقف الرسم الإملائي الحديث:

موقف الرسم الإملائي الحديث من هذه القاعدة مزدوج، فهو لم يلتزم بها في شطرها الأول، وهو زيادة (الألف) في الفعل المضارع المعتل الآخر إذا أسند إلى ضمير الفرد مثل: ادعوا، يمحوا – يرجوا – يتلوا.

لأن (الألف) لا يزاد في الخط الإملائي الحديث بعد الواو في هذه الأفعال، وما جرى مجراها، مثل فعل: يغزو، ينمو، يزكو.

أما في شطرها الثاني، وهو زيادة (الألف) في المضارع المنصوب والمجزوم والأمر والماضي، إذا أسندت إلى (واو الجماعة)، فإن الخط الإملائي الحديث قد أخذ منهج الرسم العثماني للمصحف الشريف في كتابة هذه الأفعال، قاصدًا من زيادة (الألف) الفرق بين هذه الأفعال، إذا أسندت إلى واو الجماعة، وبين المعتل بالواو إذا أسند إلى ضمير الفرد.. مثل: يدعوا، للجمع، ويدعو للمفرد.

وهاك الأمثلة:

١- قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف: ١٠٨)

فالفعل ﴿أَدْعُوٓا۟﴾ مضارع معتل الآخر بـ(الواو) (ناقص)، وقد أسند إلى ضمير المفرد المستتر، الذي تقديره (أنا).

وقـد زيدت فيـه (الألف) بعد الـواو (لام الفعـل) والأصل قبل الزيـادة أن يرسـم الفعل هكـذا (أدعو) بدون ألـف، والألف حرف مزيـد على أصول الكلمـة (د، ع، و) وقد رُمز بهذه الزيادة إلى ثقل الفعل مقارنًا بالاسـم، وقد تقدم أن المراد مـن (ثقل الفعل) دلالته المتعددة التي هي الحدث، وهو هنا الدعوة والزمن وهو هنا المضارع والفاعل، وهو هنا الضمير المستتر في الفعل تقديره: أنا.

٢- ومثله قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

(البقرة: ١٢٩)

والمعنـى المرمـوز إليه بهذه الزيـادة هو الإلماح إلـى تميز هذه التـلاوة (لفظًـا، وحفظًا وتحفيظًـا) لينقادوا له، وتزكو نفوسـهم باتباعه.

وهـذه المعانـي اللطيفـة وإن كان بعضهـا ملحوظًا مـن الكلمة نفسـها في بعض الكلمات التي تقدمت، فإن زيادة (الألف) معوان قـوي على إبرازها، ودفع الغفلة عنها؛ لأن مجيء الكلمة مزيدًا فيها حـرف غير منطوق، يدعو القارئ إلى التسـاؤل عن سـبب الزيادة، والتساؤل وسيلة إلى معرفة المعنى المراد.

مـا تقدم كانت الزيادة فيـه في كلمات أفـراد، وبقي مجال آخر لزيـادة (الألـف) هو بمثابة قاعـدة كلية، تنـدرج تحتها كلمات لا تدخل تحت الحصر وإنما يدخل فيها كل ما صلحت له القاعدة.

وهذا يتضح من البيان الآتي:

تأتي زيادة (الألف) في كل فعل مضارع معتل الآخر بـ(الواو) إذا أُسند إلى ضمير المفرد، سواء ورد في جملة تامة المعنى أو قُصد لفظ الفعل في نفسه دون قصد فاعله معه.

●● هذه هي القاعدة الكلية مثل:

يدعوا، يتلوا، يبلوا، يربوا، يمحوا، ينبؤا، يرجوا...

وما كان على شاكلة هذه الأفعال مندرجًا تحت هذه القاعدة.

والمعنى المرموز إليه بهذه الزيادة هو التفرقة بين الفعل والاسم، والفرق هو: أن الفعل مركب الدلالة؛ أما الاسم فدلالته مفردة.

فـ(محمد) هو اسم يثير في الذهن عند سماعه مجرد التصور حول شخص اسمه (محمد).

و(شجرة) وهي اسم لا تثير في خيال السامع إلا شكل شجرة، سواء كانت شجرة معهودة عند السامع، أو شجرة شائعة في جنس الشجر.

أما الفعل فهو باتفاق العقلاء يدل على ثلاثة معان:

فمثلاً، الفعل: صام يدل قطعًا على ما يأتي:

● الحدث أو المعنى، وهو الصوم، الذي هو الكف عن الطعام والشراب وشهوة الفرج.

● الزمن الذي وقع فيه الصيام، سواء كان نهار شهر رمضان أو غيره.

● الفاعل؛ لأن الفعل أثر يصدر عن مؤثر، ومحال أن يتصور فعل في الوجود بدون فاعل فعله.

وعلماء علوم القرآن يطلقون على هذه الدلالة الفعلية مصطلح

(الثقــل)[٢٩] وقالــوا إن زيــادة (الألف) في الفعل فــي الطائفة التي ذكرناها من الأفعال، إنما هي رمز إلى ثقل الفعل مقارنًا بالاسم.

وهما الأداتــان اللتان تتكون منهما الجمــل والتراكيب المفيدة فــي اللغــة العربية وفــي مقدمتها القــرآن الكريم والحديــث النبوي وكتب التراث.

ثانيًا: حذف الألف (نقص الألف):

حذف الألف، أو نقص الألف في الرسم العثماني الشريف، أكثر خصوصيــات رســم المصحف، فلا تكاد تخلو منه ســورة من ســور القرآن، وإحصاء المواضع التي وردت فيها هذه (الخصوصية) ليس ميســورًا في مثل هذه المختصرات بل يحتاج إلى سفر ضخم، تُسرد فيه صوره، ويشار فيه إلى لطائفه وأسراره.

ومــن اللافت للنظر في صــور هذه (الخصوصية) أنــك كثيرًا ما تجــد الكلمة الواحــدة محذوفًا فيها (الألف) فــي أكثر من موضع، ومرةً أو مراتٍ أخرى مثبتًا فيها (الألف) الذي حُذف منها وذلك في مواضع كثيرة منها:

(الكتاب) و(القرآن) مقترنتين بـ(أل) أو غير مقترنتين.

نــرى (الألــف) محذوفًا فــي بعض مواضــع ورودهــا، ومثبتًا في مواضع أخرى.

ومحال أن يكون الحذف والإثبات خاليين من الدقائق والأســرار التي اقتضت الحذف أو الإثبات.

---

(٢٩) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي (١/٣٨٢).

ولا ندعي أننا سنعرض لكل موضع من هذه المواضع، وإنما نسير سيرتنا التي ألفناها من قبل وهي سوق بعض الشواهد كي تزيل كثرة التساؤل حول هذه (الخصوصيات) ونكشف عن المعاني الخبيئة وراءها.

١- حذف (الألف) من (باسم) مضافًا إلى اسم الجلالة (اللّٰه):

هذه (الخصوصية) نراها في أول كلمة من أول آية في أول سورة من القرآن الكريم (سورة الفاتحة) حسب الترتيب المصحفي في قوله تعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

(الفاتحة: ١)

وهي الآية رقم (١)[٣٠] من هذه السورة الكريمة.

ونراها في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾

(هود: ٤١)

قوله عز وجل:

﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

(النمل: ٣٠)

في هذه الآيات الثلاث وردت كلمة (اسم) مضافة إلى (اللّٰه) وقد

---

(٣٠) ورد حول (بسم الله الرحمن الرحيم) خلاف مشهور بين أهل العلم، هل هي آية من سورة (الفاتحة)؟ وقد جزم قراء مكة والكوفة على أنها آية من سورة (الفاتحة) ومن كل سورة بُدئت بها، وذهب قراء المدينة والبصرة على أنها ليست آية لا من (الفاتحة) ولا من غيرها وإنما تذكر في أوائل السور للفصل بينها وللتبرك بها.

حذفت همزة الوصل بين حرف الجر (بـ) وبين (السين).

ثم نرى بعد ذلك أن (الألف) جاء مثبتًا في مواضع أخرى، وذلك في الآيات الآتية:

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الواقعة: ٧٤)

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الواقعة: ٩٦)

﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾

(الحاقة: ٥١، ٥٢)

هـذه ثلاث آيات جاء (الألف) فيها مثبتًا على خلاف ما تقدم في الآيـات الثلاث الأولـى، التي جاء (الألف) فيهـا محذوفًا، والآيات الست ورد فيها (اسم) مجرورًا بحرف الجر (بـ).

كمـا ورد مضافًا فـي الثلاث الأولـى، وفي الثـلاث الثانية، إلا أن الاختلاف بين المجموعتين كان في لفظ المضاف إليه، لا في المعنى.

فـ(باسـم) في المجموعة الأولى أضيف إلى اسم الجلالة (الله)، أما في المجموعة الثانية فقد أضيف إلى (ربك) ومعناه هو: (الله)، فاللفظان مختلفان، وأصل المعنى فيهما واحد.

هذه المقدمة تمهد لنا الطريق للإجابة عن هذا السؤال:

لماذا حُذف (الألف) في آيات المجموعة الأولى؟

ولماذا أثبت ولم يُحذف في آيات المجموعة الثانية؟

وخلاصة الجواب عن هذا السؤال:

إنهم رمزوا بحذف (الألف) في المجموعة الأولى إلى خصوصية معان يدل عليها اسم الجلالة (الله) ليس لها وجود في كلمة (ربك).

فاسم الجلالة (الله) هو الاسم الخالص في كونه علمًا فردًا على خالق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، هو علم وليس صفة، ودلالة (العلمية) هي الثبوت الذي لا يعتريه أدنى توقف أو انقطاع. هذا معنى.

المعنى الثاني: أن اسم الجلالة (الله) لم يسم به كائن غير الله عز وجل، وإن كان غيره من الأعلام صالحًا لوقوع الاشتراك فيه، مثل: محمد - أحمد - عمر، فهذه وإن كانت أعلامًا فإنها وقع ويقع فيها الاشتراك كثيرًا، فآلاف الأشخاص يسمون محمدًا، وأحمد، وعمر في البلد الواحد، والزمن الواحد.

لكن (الله) علم فرد، على مسمى فرد، لا يجوز نقلًا ولا عقلًا وقوع الاشتراك فيها أبدًا.

ومعنى ثالث: هو أن اسم الجلالة (الله) لا يضاف إلى أي شيء؛ لأنه المتفرد في الجلال والكمال والجمال.

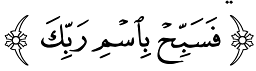
أما ما عداه من أسمائه الحسنى، ومنها (رب) فهي صفات لازمة لاسم الجلالة فـ(الله) هو الموصوف، وأسماؤه الحسنى الباقية (ثمانية وتسعون اسمًا) هي في التحقيق صفات كمال، وصفات جلال، وصفات جمال.

والموصوف أصل، والصفات فروع، والأصل هو مبدأ الفروع، والفروع توابع للأصل، الذي هو الله عز وجل.

لذلك رُمز في الرسم العثماني للمصحف الشريف بحذف

(الألـف) مـن (بسـم الله) للدلالة على هـذه المعاني ولـم يحذفوه عبثًا، حاشا لله.

أما إثباته في (ربك) في الآيات الثلاث



ففيه توجيهان :

الأول : أنه جاء على الأصل، وما جاء على الأصل فلا يُلتمس له علة.

والثاني : أنه مع مجيئه على الأصل يراعى فيه سلب المعاني التي تقدمت مع اسم الجلالة (الله) وتفسير ذلك :

أن كلمـة (رب) ليسـت علمًا خالصًا علـى خالق الخلق، بل هي صفة تدل على التكوين والرعاية والإنعام، وهذا هو شأن ما عدا اسم الجلالة (الله) من أسـمائه الحسـنى؛ لأنها كلمـة ينقدح في الذهن عنـد سـماعها معنى الوصف، مثـل : الرحمن - الرحيـم - الأول - الآخر - الظاهر - الباطن - المحيي - المميت - القاهر - القهار - الغفـار - الكريم - القوي - الحميد - الودود - العظيم - المهيمن - العزيـز - الجبـار - الغفـور - العفـو - الخالق - الـرازق - الولي - الناصر - المعز - المذل - العليم - السـلام - الملك - الرافع - الخافض - الباسـط - القابض - المبدئ - المعيد - الحي - القيوم - الباعـث - الـوارث - المؤمـن - القدوس - الخبيـر - الحفيظ - الحافظ - الكبير - المتعال.

فهذه الأسـماء الحسنى إما صفة صريحة، وإما فيها لمح الصفة، ودلالة اسم (الجلالة) هي مبدأ هذه الصفات جميعًا، وموردها الذي ترد إليه.

وأسماؤه الحسنى -ما عدا (الله)- يسمى بها ويوصف بها غيره لملابسات تسوغ هذا الاتساع (اللهم إلا قليلًا منها، مثل: المحيي - المميت) فهي يقع فيها الاشتراك، وكذلك فإنها صالحة لأن تضاف إلى غيرها.

فالفروق -إذن- جد كبيرة بين اسم الجلالة (الله) وبين ما عداه من أسمائه الحسنى.

وإلى هذه المعاني رُمز في الرسم العثماني للمصحف الشريف بحذف (الألف) من (بسم الله) وإبقائه في (باسم ربك)، وبهذا يزول التساؤل الذي يثور في ذهن قارئ المصحف الشريف حين يقع بصره على (الألف) محذوفًا في (بسم الله) ومثبتًا في (باسم ربك).(٣١)

٢- حذف (الألف) من الأفعال الماضية المسندة إلى واو الجماعة:

القاعدة الإملائية المتبعة في الرسم العثماني للمصحف الشريف، وفي الخط الإملائي الحديث، في كل فعل ماض أسند إلى واو الجماعة هي: أن تزاد (الألف) بعد واو الجماعة، مثل: ذهبوا - كتبوا - أكلوا - قاتلوا - شاءوا، وهكذا.

وقد أخذ الخط الإملائي الحديث هذه الطريقة عن الرسم العثماني للمصحف الشريف.

---

(٣١) صورة هذا التساؤل: لماذا أثبت «الألف» هنا ثم حذف هناك؟ وهو تساؤل تمليه الضرورة لمعرفة السبب في الحالتين.

أما الآن فإنا سنبين لطائف وأسرارًا لحذف (الألف) في طائفة من الأفعال الماضية المسندة إلى واو الجماعة، خروجًا عن تلك القاعدة التي أثبتوا (الألف) فيها بعد واو الجماعة، فسنذكر تلك الأفعال، ثم نعقب عليها بالإشارة إلى المعنى الذي جاء حذف (الألف) رامزًا إليه.

والأفعال هي الواردة في الآيات الآتية:

أ- ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٍ﴾

(الأعراف: ١١٦)

ب- ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾

(يوسف: ١٦)

ت- ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾

(يوسف: ١٨)

ث- ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾

(الفرقان: ٤)

هذه أربع آيات -ولها نظائر- جاء فيها الفعل الماضي المسند إلى واو الجماعة هكذا: ﴿جَآءُو﴾ محذوفًا منه (الألف) بعد واو الجماعة، بل إن كل ما في القرآن من الفعل (جاء) مسندا إلى واو الجماعة اطَّرد فيه حذف (الألف) ولم يشذ من هذا ولا فعل واحد[٣٢].

---

(٣٢) انظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار.. للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ص٣٤) مطبعة الكليات الأزهرية، تحقيق الشيخ محمد الصادق قمحاوي.

وقـد نص العلماء على أن هذا الحـذف في كل مواضع هذا الفعل رُمز به إلى معنى واحد، ذلك المعنى هو الإشارة إلى ذم الفعل نفسه، يعني أنه مجيء معيب؛ لأنه في الشر لا في الخير[٣٣].

وإذا التمسـنا هذا المعنى فـي الأفعال الأربعة المذكورة ظفرنا به من أول وهلة ففي آية (الأعراف) كان المجيء بالسـحر في محاربة الإيمان، وفي آية (يوسـف) الأولى كان مجيء إخوته يبكون خداعًا لأبيهم.

وفي آية (يوسـف) الثانية كان الدم الـذي جاءوا به على قميصه دم زور وبهتان.

وآية (الفرقان) تصف مجيء المشركين الطاغين في القرآن بأنه (ظلم وزور) وبهذا تطرد القاعدة التي أجروا عليها حذف (الألف) لهذه الأفعال الأربعة.

فالحـذف -إذن- لـه دلالة توكيد لا تأسـيس؛ لأن هـذه المعاني الذميمـة تُفهـم من سـياق الـكلام[٣٤] إلا أن هذا الحـذف فيه زيادة

---

(٣٣) ورد حـذف «الألف» في الفعل «جاءو» في موضع واحد في القرآن غير مستعمل في الشر، بل في الخير وذلك في قوله تعالى:
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ (الحشر: ١٠)
ولم يوجه العلماء سر الحذف فيه والظاهر -بناء على توجيهات مماثلة لهم في مواضع أخرى- أنه للرمز على أن هذا المجيء معنوي عقلي لا حسي مادي وأنه «بُعدٌ» زماني لا مكاني.

(٣٤) التأسيس هو الكلمة أو الكلام الذي يفيد المخاطب معنى لا علم له من قبل به من كلام آخـر والتوكيد هو الكلمة أو الكلام الذي يفيد المخاطب معنى سبق عند المخاطب العلم به من كلام آخر مثل: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾

تركيز ولفت للأذهان الغافلة.

ومن هذا القبيل الأفعال الواردة في الآيات الآتية:

هـ- ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٦)

فقد حذف (الألف) بعد واو الجماعة من الفعل ﴿فَآءُو﴾ لا لأن الفعل مذموم بل لمعنى آخر شريف، هو الإشارة إلى (الفيء) القلبي، وهو الأساس في إصلاح ما بين الزوجين، وليس المراد الفيء (أي الرجوع) الجسدي المادي؛ لأنه مع انعدام صفاء القلوب لا يعيد الوئام بين الزوجين، وملمح آخر يرمز إليه هذا الحذف، وهو سرعة رجوع الزوج إلى الصفح عن زوجته قبل انقضاء الأشهر الأربعة، التي أذن الشرع له بها في هجره إياها.

و- ومن هذه الأفعال قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾

(سبأ: ٥)

حذف (الألف) بعد واو الجماعة من الفعل ﴿سَعَوْا﴾ زيادة توكيد لذم هذا الفعل وفاعليه؛ لأنه سعي في محادة الله ورسوله.

فكلمة «اقرأ» تأسيس؛ لأنها أفادت النبي ﷺ أمرًا لا علم له به من قبل.
أما «اقرأ» الثانية في قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾
فهي توكيد لا تأسيس لسبق العلم بالأمر من «اقرأ» الأولى.

ز- وكذلك قوله جل وعلا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾

(الفرقان: ٢١)

في صدر هذه الآيــة حكى الله جل وعلا جرائم الذين كفروا بلقاء الله، ثــم تعنتهم وعنادهم حيث جعلوا شــرط الإيمان بالله واحدًا من أمرين:

- أن يُنزل الله عليهم الملائكةَ يرونهم رأي العين ويسمعونهم!
- أو يروا الله جل وعلا، وتعالى عما يقولون.

ثــم قضــى الله عليهــم بأنهم قد اغتالهــم الغرور، ورأوا أنفســهم كبــارًا لا يخضعون لنداء الحق، وتجاوزوا كل مدى معهود في البغي والعنــاد، وجاء حــذف (الألف) من الفعــل ﴿عُتُوٍّ﴾ رمزًا على قبح هذا الفعل، وشناعة إثم فاعليه وتفردهم في الكفر والعناد.

ل- وكذلك حذف (الألف) من الفعل المســند إلى واو الجماعة في الآيات الآتية:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾

(البقرة: ٦١)

﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

(البقرة: ٩٠)

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾

(آل عمران: ١١٢)

فـي هذه الآيـات الثلاث حـذف (الألـف) بعـد واو الجماعة.. هكـذا: ﴿ وَبَآءُو ﴾ وجاء هذا الحذف مرموزًا به إلى ذم الفعل (باء) وذم فاعليه.

ومما يؤكد هذا سـياق الكلام في الآيات الثلاث، ففي آية البقرة رقم (٦١) جاء هذا الفعل في سياق الحديث عن اليهود، وجرائمهم الشنيعة التي اقترفوها مع أنبيائهم والمرسلين إليهم.

فقـد اعتدوا على أنبيائهم بالقتـل، وكفروا بآيات الله جل وعلا، مع مخازٍ أخرى أسندت إليهم.

فـكان جزاؤهـم (الوفاق) إحلال غضـب الله في الدنيا، وسـوء المصير في الآخرة. وفي آية البقرة الثانية رقم (٩٠) جاءت عبارة:

﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾

بعـد فصـل طويل قصَّـه القرآن عن بنـي إسـرائيل (اليهود) من اتبـاع أهوائهم، ورفضهـم الإذعان للحـق، وتكذيبهم وحي الله جل وعلا؛ فجاء تسجيل الغضب عليهم جزاء لهم، وحذف (الألف) من (باءو) إشارة إلى أنه فعل استحقه اليهود على كفرهم وإفسادهم في الأرض، وإشارة إلى أن أسباب هذا (البوء) بلغت من القبح والشناعة مبلغًا غير معهود في دنيا الناس.

أمـا آية (آل عمران) رقم (١١٢) فمقـام الحديث فيها هو مقام الحديث في آيتي البقرة الآنفتي الذكر، وما يقال في آية منهما يقال في الآية الأخرى.

وينبغـي أن نفـرق بيـن الدقائق والأسـرار التي مـن أجلها حذف (الألف) في الأفعال التي تقدمت:

(جاءو - فاءو - عتو) وبين أسرار حذف (الألف) في ﴿وَبَآءُو﴾ فحذف (الألف) في (باءو) ليس رمزًا إلى ذم الفعل نفسه، ولكن باعتبار الأسباب والجرائم، التي صيرت بني إسرائيل (اليهود) هذا المصير؛ وذلك لأن الفعل (باءوا) مجازاة من الله لهم، على عنادهم وكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حق.

س- ومما حذف فيه (الألف) بعد واو الجماعة من الفعل المسند إلى هذه الواو موضعان آخران:

الأول: قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر: ٩)

انظر إلى رسم الآية، تجد الفعل ﴿تَبَوَّءُو﴾ حذف منه الألف، واستعيض عنه بهمزة رسمت على (الواو) تلتها همزة أخرى رسمت على السطر، وفوقها ضمة وهي في الرسم الإملائي الحديث ترسم هكذا: (تبوءوا).

ثم حذف منها (الألف) بعد واو الجماعة، الذي هو فاعل الفعل (تبوأ).

والذي يعنينا هو (الألف) المحذوف بعد واو الجماعة، وقد وجه العلماء هذا الحذف بأنه رمز إلى أن (التبوُّؤ) في الآية معنوي لا حسي، وهو الاختيار القلبي ابتغاء مرضاة الله جل وعلا.

والتبوؤ في اللغة هو (التمكن) و(الاستقرار).

هذا خلاصة ما قاله علماؤنا قديمًا، والمقام يحتمل توجيها آخر، حاصله أن مفعول التبوؤ في الآية أمران:

الأول: الـدار، وهو المدينة المنورة، وإيقاع التبوؤ عليها بمعنى التمكن فيها سـائغ؛ لأنها مكان، والتمكن في المكان حقيقة لغوية لا تحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر.

أما المفعول الثاني فهو (الإيمان) وهو معنى قلبي، وليس مكانًا حتى يكون صالحًا للإقامة فيه مثل الدار.

إذا تمهد هذا؛ فليس بمستنكر أن يكون حذف (الألف) هنا رمزًا إلى هذه اللطيفة، وهي أن الفعل﴿ تَبَوَّءُو ﴾استعمل في (الدار) على وجه الحقيقة واسـتعمل في الإيمان على وجه التنزيل، للدلالة على رسوخ الأنصار المتحدَّث عنهم في هذه الآية في الإيمان، متمكنًا في قلوبهم كتمكنهم هم في هذه الدار (المدينة) التي يقطنون فيها.

يعني: أن لهم (مباءتين) أو (مأويين):

١- المدينة دار إقامتهم ومثواهم آمنين فيها.

٢- والإيمـان، الـذي يحقق لهم أمنهـم في الدنيـا، وأمنهم في الآخرة.

وهذا الفهم لا يتنافى مع ما ألمح إليه علماؤنا من قبل.

وقد أشـار إلى قريب مما فهمناه بعض أئمة التفسير، والتمس له شاهدًا من الشعر العربي المأثور[٣٥].

هذا، وقد سـبق -مراتٍ- أن الحذف -عمومًا- قد يأتي رمزًا إلى المعانـي الغيبية غير المحسوسـة، وحمل (التبـوؤ) على الاختيار يجعله من الأمور الغيبية التي رُمز إليها بحذف (الألف) هنا.

---

(٣٥) انظر تفسير الإمام البيضاوي على هامش حاشية الشهاب الخفاجي (جـ٨ ص١٧٩) وما بعدها ط: دار صادر - بيروت.

وبقي الموضع الثاني الذي تحسن الإشارة إليه، وهو قوله تعالى:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

(النساء: ٩٩)

فالفعل (يعفو) حذف منه (الألف) بعد الواو الأصلية[٣٦] والأصل أن تثبت هكذا: يعفو، مع أن هذا الألف مزيد في الأصل لمعنى تقدم الحديث عنه في بحث زيادة (الألف).

وفي توجيه حذف (الألف) هنا قالوا: إن هذا الحذف رمز إلى أن عفو الله تعالى، وهو ترك المؤاخذة عما لا ينبغي أن يكون، وقد كان، وهو أمر غيبي لا يُدرك بالحواس.

هذا ما قالوه، وفي المسألة توجيه آخر ذكروه في بعض مواضع الحذف فيما تقدم وإن لم يذكروه هنا، وهو: أن هذا الحذف قد يكون مؤذنا بالإشارة إلى تحقق الوعد من الله وسرعته، وهو العفو عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً.

هذه هي المواضع التي حذف فيها الألف من أواخر الأفعال.

أما ما عداها مما شابهها فقد وردت كلها مثبتة (الألف) وقد أورد أبو عمرو الداني جملة منها في أحد مصنفاته في علوم القرآن[٣٧].

٣- حذف الألف من ثلاث كلمات في سورة الفاتحة (أم الكتاب) هي: (الرحمن، ملك، الصرط) والأصل في هذه الكلمات أن تكتب

---

(٣٦) الواو في «يعفو» ليست واو الجماعة ولكنها أصلية من بنية الفعل: عفا – يعفو ـ عفوًا وهي لام الكلمة.

(٣٧) انظر كتابه «المقنع ص٣٥» مرجع سابق ذكره.

هكـذا : (الرحمان، مالك، الصراط) فلمـاذا عدل عن إثبات الألف إلى حذفها ؟

لقد وجـه بعض العلمـاء (علماء علـوم القرآن) وعلمـاء القراءات الحذف في (الرحمن) و(ملك) وها نحن نوجز ما يفهم من كلامهم.

● أمـا (الرحمـن) فوجهـوا حذف (الألـف) فيه بـأن رحمة الله ندركهـا بآثارهـا الظاهرة ولا نحيط بها علمًا كما هي في علم الله بل نؤمن بها إيمانًا مفوضين علم حقيقتها إلى الله لا على ما يرتسـم في نفوسنا بالوهم والخيال (لأنه لا يعلم الله إلا الله)[٣٨].

● وأما (ملك) فقد حذف منها الألف رمزًا إلى أن فيها قراءتين :

فقرأ عاصم والكسـائي ويعقوب وخلـف (مالك) بإثبات الألف بعد الميم على أنه اسم فاعل من (ملك) والمالك هو المتصرف في الأعيان كيف يشاء.

وقـرأ الباقـون (ملـك) بحـذف الألف وكسـر اللام بعـد الميم والكاف على وزن (حذر) على أنه صيغة مبالغة[٣٩].

● وأما (الصرط) فلم يوجهوا الحذف فيه صراحة.

ونقول حملًا له على ما ذكروه من توجيهات في نظائره :

إن الحـذف هنـا للدلالة على أنه صراط معنوي وهو الإسـلام، لا مادي.

---

(٣٨) عنـوان الدليل من مرسوم خط التنزيـل (٦٧) لأبي العباس المراكشي تحقيق هند شلبي طبعة دار الغرب الإسلامي الطبعة (١٩٩٠م) تونس.

(٣٩) المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة (جـ١ ص١٣٥) د. محمد سالم محسن، طبعة دار الجيل بيروت ١٤٠٨هـ.

ومثـل حذف (الألف) في (ملك) رمزًا إلى تعدد القراءات كلمة (الريح) في قوله تعالى:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (الكهف: ٤٥)

فقد حذف (الألف) من (الياء) بعد (الراء) ولم يكن حذفه عبثًا بـل لـه دلالة تبصر القارئ لكتاب الله العزيز بـأن في كلمة (الريح) قراءتين:

فالقـراء تباينت قراءاتهم في كلمة (الريح) حيث وقعت فمنهم مـن قرأها في جميع مواضعها في القـرآن بالجمع وهو أبو جعفر إلا موضعًا واحدًا (السـادس عشر في سورة الحج، الآية ٣١) فقد قرأه بالجمع والإفراد.

وقـرأ (ابن كثير) بالجمع في أربعة مواضع منها آية الكهف هذه فتبين من ذلك أن كلمة (الريح في آية الكهف تواردت عليها قراءتا الجمع والإفراد وهي في المصحف بالجمع على قراءة عاصم وغيره ثـم رمزًا إلـى قراءة الإفراد بحـذف (الألف) فجاء رسـم الكلمة في المصحـف صالحًا للقراءتين بعد حذف (الألف) والاسـتعاضة عنه بشرطة صغيرة رأسية فوق (الياء)[٤٠].

ووجـه الجمـع هو اختـلاف جهات الريـاح: شـمالية جنوبية أو العكس واختلاف صفاتها: شديدة لينة، حارة باردة أما وجه الإفراد:

---

(٤٠) القــراءات لابن مجاهد (سورة الكهف) طبعة دار المعـــارف - القاهرة، تحقيق: د/ شوقي ضيف.

فإن الريح جنس عام، يصدق على ما يندرج تحته من أفراد[٤١].

فحذف (الألف) في (الريح) كحذفه في (ملك)، كان القصد منهما الرمز إلى هذا المعنى اللطيف الذي أشرنا إليه من قبل.

وليس في كتاب الله العزيز شيء يخلو من الدلالة ولكن هذه الدلالات تفتقر إلى تفكر وتأمل وقد يغيب عنا بعض منها، وليس معنى هذا الخلو من الدلالة ولا يكون جهلنا بها دليلاً على انعدام الدلالة؛ لأنه كتاب لا تنقضي عجائبه.

٤- ومن المواطن التي شاع فيها أو كاد أن يطرد حذف (الألف) في الرسم العثماني للمصحف الشريف الأسماء الأعجمية غير العربية.. مثل الأسماء الآتية: إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، هاروت، ماروت وهارون وسليمان وقارون وهامان وميكال وإسرائيل ولقمان.

كل هذه الأعلام غير العربية رسمت في المصحف الشريف محذوفًا منها (الألف) هكذا:

إبرهيم، إسمعيل، إسحق، هروت، مروت، سليمن، قرون، همن، ميكل، إسراءيل، لقمن.

● ويلاحظ أن هامان حذف فيه (الألف) مرتين:

مرة بعد (الهاء) وأخرى بعد (الميم) هذا هو المتبع في الأعجميات إلا (طالوت ـ جالوت ـ التابوت) فقد أثبت فيها (الألف) وكذلك (يأجوج ـ مأجوج ـ داود).

وقد وجهوا إثبات (الألف) في (داود)، لأنه حذف منه أصل الواوين بعد (الألف) فكرهوا اجتماع حذفين فيه

---

(٤١) المغني في القراءات العشر المتواترة، مرجع سبق ذكره.

ولو اجتمع الحذفان لصار (داوود) .

●● وقد يقول قائل إنهم حذفوا من (هامان) حذفين، فلماذا كرهوا ذلك في (داود) ؟

لم نر لبعض العلماء توجيهًا لهذا، لكن يبدو أنهم فرقوا بين (همن) و(داود) بأن : (همن) كان الحذف فيه لحرف واحد هو (الألف) .

أما (داود) فإن الحذف كان سيعتري حرفين هما (الألف) و(الواو) وفي هذا إجحاف بحذف أصلين من أصول الكلمة .

أما عدم الحذف في (يأجوج ومأجوج) فيبدو -كذلك- أنهم فرقوا بين (الألف) الذي هو حرف (مد) ولين وبين (الهمزة) وهو أقوى وأظهر وجودًا في النطق والخط من (الألف) التي هي حركة صوتية ناتجة عن فتح ما قبلها وامتداد لتلك الفتحة .

أما (طالوت - جالوت - تابوت) فلم أر من وجه إثبات (الألف) فيها مع أنها أعلام أعجمية لا عربية سبيلها سبيل غيرها من الأعجميات في حذف (الألف) ؛ لذلك فإن إثبات (الألف) فيها تثير هذا السؤال :

لماذا لم تحذف (الألف) في هذه الكلمات الثلاث ؟

وفي الحقيقة فإني لم أجد إجابة عند العلماء على هذا السؤال، لكن الذي بدا لي فيه بقوة أن هذه الكلمات أشبه ما تكون بكلمات عربية لأن تحريرها من المقطع الأخير فيها يسفر عن كلمة عربية أصيلة هكذا :

طال ـ جال ـ تاب وذلك بعد حذف المقطع (وت)[٤٢].

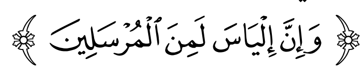
فهل -يا ترى- كان هذا هو السبب في تركهم حذف (الألف) فيها؟

من جانبي أرجح هذا فإن أصبت فمن الله وإن كانت الأخرى فمني، وفوق كل ذي علم عليم.

وأيًا كان الشأن فإن حذف (الألف) من الأعلام غير العربية في رسم المصحف رمزوا به إلى الدلالة على أعجمية هذه الأعلام ولم يحذفوه عبثًا أو جهلًا بقواعد الخط.

وبعض العلماء أشار إلى أن (سليمان) ليس أعجميًا ثم التمس وجهًا لحذف (الألف) منه ومن صالح ومالك... هو كثرة الاستعمال[٤٣].

ومن الكلمات الأعجمية التي ثبت فيها (الألف) ولم يحذف كلمة (إلياس) الواردة في قوله تعالى:



(الصافات: ١٢٣)

وقد عدلوا عن توجيه إثبات الألف فيه.

---

(٤٢) بعضهم وجه إثبات «الألف» في «جالوت» وحده بأن المقصود به «الجسم المادي»؛ لذلك ثبت «الألف» فيه. انظر عنوان الدليل (ص٧٣) مرجع سابق ذكره.

(٤٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٩١) لكن القول بعربية «سليمان» ليس على إطلاقه فهو تصغير «سلمان» ولهذا الوزن نظائر فعلًا في العربية «عدنان» لكن المعروف أن هذه التسمية «سليمان» عبرية بها سمي نبي الله «سليمان» أما قبل التصغير «سلمان» فيعزى إلى الفارسية وبها سمي «سلمان الفارسي»، إذن فالقول بأن سليمان ليس بأعجمي بل عربي يحتاج إلى دليل آخر.

والـذي يتبـادر إلى الفهم أنهـم لم يحذفوا منـه (الألف) لأن في حذفـه إنهاكًا في بنية الكلمـة بكثرة الحذف منها لأن (إلياس) هذا هو (إل ياسين) في قوله تعالى:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾

(الصافات: ١٣٠)

ولو كانوا قد حذفوا منه (الألف) لصار المحذوف منه ثلاثة أحرف هـي: الألف – الياء – النون وكلها أحرف يغاير بعضها بعضًا، وهذا يشـير إلى أنهم يميلون إلى حذف الحـروف المتماثلة لا المتخالفة فقد رأينا أنهم حذفوا (الألفين) من (هامان) هكذا: (همن) وهكذا صنعـوا في (طـه) والأصـل: (طاها) فحذفـوا منه الألفيـن لأنهما متماثـلان، وفي هذا إيماءٌ إلى المنهـج الدقيق الذي روعي في كتابة المصحف الشـريف في عصر النبوة لأول مرة واعتمدته الأمة ونص الأئمـة الأعلام على منع كتابة المصحف بغير الرسـم الذي كتب به في حياة النبي ﷺ ثم جمع بعد ذلك في المصحف الإمام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه(٤٤).

٥- حذف الألف من الصيغة الندائية (أيها):

كثـر النداء فـي القرآن الكريم بـ(أيها) بإثبـات (الألف) بعد (الهاء) وذلك مثل الآيات الآتية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٠٤)

---

(٤٤) انظر البرهان (١/٣٧٦) وما بعدها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾

(آل عمران: ١٠٠)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾

(النساء: ٤٣)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ ﴾

(المائدة: ١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ (الأحزاب: ١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ ﴾ (النمل: ٢٩)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ﴾ (النمل: ١٨)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل: ١)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر: ١)

وكذلك ورد مع غير الذين آمنوا مثل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾

(البقرة: ١٦٨)

وقـد بلغت هذه الصيغة الندائية أكثـر من مئة موضع وهي مثبت

فيهـا (الألف) إلا في ثلاثة مواضع ترى (الألف) محذوفًا فيها وهي على الترتيب المصحفي على النسق الآتي:

الموضع الأول:

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(النور: ٣١)

الموضع الثاني:

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾

(الزخرف: ٤٩)

الموضع الثالث:

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾

(الرحمن: ٣١)

● ويَردُ على هذا سؤال لحوح:

لماذا أثبت (الألف) في رسم المصحف الشريف في جميع ما ورد فيه من (يا أيها) وحذف من هذه المواضع الثلاثة:

في النور وفي الزخرف وفي الرحمن؟

إنه لمن المحال أن يكون هذا التصرف لغير حكمة أو لغير معنى مـراد أو لغيـر مقتضى اقتضاه... إذن فما الـذي اقتضى الحذف في هذه الآيات يا ترى؟

رحـم الله علماءنا خَدَمَةَ كتابِ الله عز وجـل فقد أجابوا على هذا السـؤال إجابة صائبة يعاضد صوابها المقام أو السياق الذي ورد فيه هذا الخلاف في الآيات الثلاث.

● وإليكم البيان:

ذكروا في توجيه هذا الحذف في المواضع الثلاثة عبارة جامعة قالوا فيها :

والسر في سقوطها -يعني الألف- في هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها غاية في الفهم يمتد النداء إليها . . .

وتفصيل ذلك هو ما يأتي :

أن النداء في

﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

موجه إلى (المؤمنون) جميعًا بأن يحصلوا التوبة التي يترتب عليها الفلاح وليس بعد تحقيق هذه القيم غاية تتطلب نداء ولا زيادة لمستزيد .

وأن النداء في

﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾

والمراد منه رسول الله موسى عليه السلام ليدعو الله بما عهد عنده من الوعد الحسن لعباده المهتدين وترتيب هدايتهم على هذا النداء غاية قصوى لا تترك نداء لما هو فوقها ، وأن النداء من الله عز وجل يوم القيامة للإنس والجن لا يترك مجالًا آخر لنداء غيرهم ؛ لأن الإنس والجن هم المكلفون .

هذه هي إجابة علمائنا الأقربين (خدمة كتاب الله العزيز) في كشف اللثام عن السر اللطيف وراء حذف (الألف) بعد (الهاء) من الصيغة الندائية الكثيرة الورود في القرآن (يا أيها) .

وفي هذه الإجابة كفاية وشفاء، وتطبيق قاعدتها على مقام الحديث في الآيات الثلاث يؤازر ما قالوه -رحمهم الله-.

١- فالمنادِي في آية النور هو (الله) عز وجل، والمنادَى فيها هم جميع المؤمنين.

● وموضوع النداء هو (التوبة النصوح).

● وثمرته هو الفلاح في الدين والدنيا، وليس بعد هذا مطلب لطالب ولا زيادة لمستزيد.

٢- والمنادِي في آية الزخرف هم فرعون وملؤه، والمنادَى فيها هو موسى عليه السلام.

● والموضوع له شقان:

أ- دعاء موسى ربه برفع العذاب عن فرعون وملئه.

ب- دخول فرعون وملئه في الدين الذي يدعو إليه موسى عليه السلام.

● وإذا حدث هذا انتهت الخصومة بين الطرفين، وليس بعد هذا زيادة لمستزيد ولا مطلب لطالب.

٣- والمنادَى في الآية الثالثة هم الثقلان: الإنس والجن.

● وموضوع النداء هو فصل الله في كل الأمور، التي تتعلق بمصير الفريقين.

● ولن يبقى بعد ذلك شأن من الشئون، ينتظر قضاء قاض، أو تصريف حكيم.

● هذا هو المعنى الذي من أجله حذف (الألف) من (أيه) رمزًا

إلى بتّ الغايات وقطعها، وانتهاء كل المشكلات.

● فهل في ذلك ذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد ومخلص ومذعن للحق..؟!

٦- حذف (الألف) من الجموع السالمة، والمكسرة:

ومما شاع فيه حذف (الألف) الجموع السالمة، كذلك المكسرة، مذكرة كانت أو مؤنثة، وذلك مثل ما ورد في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

(الأحزاب: ٣٥)

في هذه الآية الكريمة عشرون جمعًا سالمًا، عشرة مذكرة، وعشرة مؤنثة.

وقد ورد حذف (الألف) في سبع جموع مذكرة، هي القانتين، الصادقين الصابرين، الخاشعين، الصائمين، الحافظين، الذاكرين.

أما الجموع العشرة المؤنثة، فقد حذف (الألف) فيها جميعها، وفي ثلاثة منها حذف (الألف) مرة واحدة، وهي: المسلمات، المؤمنات، المتصدقات.

أما في الجموع السبعة الأخرى فقد حذف (الألف) مرتين في كل منها وهي:

القانتات، الصادقات، الصابرات، الخاشعات، الصائمات، الحافظات، الذاكرات.

● وفي توجيه هذا الحذف أشاروا أولًا إلى أن هذه (الألفات) المحذوفة زائدة ليست من أصول الكلمة وهذا حق، وبيان ذلك:

أن (الألفين) المحذوفين من (القنتت) مثلًا، لا وجود لهما في الفعل الذي صيغ منه اسم الفاعل المؤنث المجموع.

لأن صيغة الفعل هي:

قنت في الماضي، يقنت في المضارع.

وكذلك: (الصادقات - الصابرات) فهما اسم فاعل من:

صدق وصبر، و(الألفان) اللذان فيهما استُجلب أولهما لبناء اسم الفاعل مذكرًا كان أو مؤنثًا:

صادق، صادقة، صابر، صابرة.

أما (الألف) الثاني فمستجلب للدلالة على الجمع: صادقات، صابرات.

ولعل مرادهم من النص على هذه الزيادة أن يقولوا إن الزائد يسهل التصرف فيه مع بقاء ما يدل عليه، ثم أضافوا إلى هذه سببًا آخر في حذف (الألف) فيما يحذف منه، وهو الاختصار وكثرة الاستعمال[٤٥].

هذا ما ذكروه في توجيه الحذف في هذه المواضع، وبقيت لنا إضافة مستوحاة مما سبق أن قالوه، وهو: أن علماءنا الأقدمين،

---

(٤٥) انظر المقنع في رسم مصاحف الأمصار (٣٠، ٣١) لأبي عمرو الداني، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

الذيـن عللوا ما كتب فـي المصحف مخالفًا للخـط الإملائي العام، قـد أفصحـوا مرات على أن الحـذف يرمز به كثيرًا إلـى التفرقة بين المعنوي الذي يدرك بالعقل، والمادي الحسي الذي يدرك بالحواس الظاهـرة: (السـمع، البصر، الشـم، الذوق، اللمـس)، وقد نصوا كثيرًا على أن حذف (الياء) وحذف (الألف) كثيرًا ما يكونان رمزًا للدلالة على (المعنويات).

وإنعاشًـا لذاكرة القارئ نعيد المقارنة بين كلمتين مما سـبق لنا توجيه الفرق بينهما على الأساس المتقدم.

قال الله عز وجل:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾

(الكهف: ٢٤)

وقال حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

(القصص: ٢٢)

ورد الفعـل في آيـة الكهـف ﴿يَهْدِيَنِ﴾ محذوفًا منـه (الياء) وورد فـي آية القصص ﴿يَهْدِيَنِي﴾ مثبتًـا فيه (الياء)، قال علماؤنا رضي الله عنهم إن سـبب الحذف في آيـة الكهف هو الدلالة على أن (الهداية) المطلوبة معنوية، وهي التذكر بعد النسيان، فهي -إذن- أمر معنوي يُحَسّ في فكر الإنسان.

أما عدم الحذف في آية القصص؛ فلأن موسـى عليه السلام طلب من الله

هداية حسية هي معرفة الطريق الذي يسلكه إلى مدين[٤٦] .

إذا تقرر ذلك نقول : إن الحذف في الكلمات الواردة في آية سورة الأحزاب لا يبعد أن يكون رمزًا إلى معنوية الصفات المذكورة فيها ، وهي : الإسلام ، الإيمان ، القنوت ، الصدق ، الصبر ، الخشوع ، التصدق ، الصيام ، (العفة الخلقية) ، الذكر الكثير .

لأن المراد من المؤمنات والمسلمات والقانتات ، ومن بقية الصفات المدلول عليها بأسماء الفاعلين مذكرين ومؤنثات هو الصفات لا الذوات .

وليس في هذا الفهم مصادرة لما قاله علماؤنا الأقدمون رضي الله عنهم .

ولكنه إضافة لا تلغي ما قالوه ؛ لأنها مسايرة لما ذكروه ، لا مغايرة له .

ونحن استوحينا هذه الإضافة من قواعدهم التي نصوا عليها ، وطبقوها على عشرات الخصوصيات في الرسم المصحفي الشريف .

٧- حذف (الألف) من (الضفادع) ، (مفصلات) :

ومن الآيات اللافتة للنظر في الإثبات والحذف قوله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾

(الأعراف : ١٣٣)

فقد أثبت (الألف) في : ﴿ ٱلطُّوفَانَ ﴾ ، ﴿ وَٱلْجَرَادَ ﴾ .

---

(٤٦) البرهان (١/ ٤٠٠).

وحـذف فـي :﴿ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾، ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾، وجريًـا على القواعـد التي ذكرت مع تطبيقاتها من قبل ندرك أن ثبوت (الألف) في (الطوفان والجراد)؛ لأنهما كائنان ماديان حسـيان لهما وجود ظاهر في عالم المحسوسـات: فالطوفان هو تدفق الماء مع ارتفاعه، والجراد حشرات طائرة، وقد تسير في أسراب تحجب ضوء الشمس فثبت (الألف) رمزًا على ماديتها وحسيتها الظاهرة.

أمـا حـذف (الألف) في (الضفـادع) وإن كانـت كائنات مادية حسـية، فليس لها ظهور حسي كالطوفان والجراد؛ لأنها تعيش في المـاء، ففيها نوع خفاء كما ترى ولا يقدح في هذا الفهم الاحتجاج بقوله تعالى:

﴿إِذْ تَـأْتِيهِمْ حِيتَـانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُـرَّعًـا﴾
(الأعراف: ١٦٣)

لأن (الألـف) أثبتت فـي (حيتانهـم) وهي كائنـات مائية، من شـأنها الخفـاء أكثر مـن الضفادع، لكننـا نقول في الـرد على هذا الاحتجاج: إن (حيتانهم) في هذه الآية لم تكن خافية في الماء؛ لأن الله عز وجل أثبت لها صفتين قويتين في الظهور وهما:

● الإتيان المدلول عليه بـ﴿تَأْتِيهِمْ﴾.

● ثـم قوله تعالـى: ﴿شُـرَّعًـا﴾؛ لأن معنـاه: ظاهرة على وجه الماء[٤٧].

(٤٧) الكشاف للإمام الزمخشري (١٢٥/٢).

وحذف الألف في ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ لأن ذلك التفصيل أمر معنوي في تدبير الله عز وجل قبل أن يروه واقعًا في حياتهم.

٨- حذف الألف من : (الكتاب) ، و(القرآن) :

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾

(البقرة: ١ ، ٢)

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

(آل عمران: ٧)

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

(الزخرف: ١ ، ٢)

من ملاحظات العلماء في خصوصيات الرسم العثماني الشريف، كلمتا :

(الكتاب) ، و(القرآن) ، وقد أسفرت هذه الملاحظات عن أن :

- الأصل في كلمة (الكتاب) تأتي محذوفة (الألف) إلا في أربعة مواضع في الذكر الحكيم جاءت كلمة (الكتاب) فيها بإثبات الألف.

- أما (القرآن) فإن الأصل في هذه الكلمة أن تكتب بإثبات (الألف) إلا موضعان وردت فيهما كلمة (قرآن) محذوفة (الألف).

ومحال أن يكون هذا (التصرف) عبثًا خاليًا من الحكمة، والمعاني اللطيفة التي من أجلها كان الحذف والإثبات في كلمات الكتاب العزيز.

نماذج من (الكتاب) محذوفة (الألف) :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة: ٢)

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(البقرة: ٨٩)

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٠١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾

(البقرة: ١٥٩)

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

(آل عمران: ٧)

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾

(يوسف: ١)

﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الرعد: ١)

في الآيات السابقة وردت كلمة (كتاب) في حالتي التعريف

والتنكيـر سـبع مرات مـرادًا منهـا القرآن، ومـرة واحدة فـي حالة التعريـف مرادًا منهـا التوراة والإنجيل، التوراة كمـا أنزلها الله على موسى، والإنجيل كما أنزله الله على عيسى -عليهما السلام- .

وفي المرات الثماني حُذف (الألف) الذي بعد (التاء) من كلمة (كتاب) معرفة ومنكرة.

وهـذا خـلاف الأصل؛ لأن الأصـل بقـاء (الألف) وقـد رُمز إلى (الألف) المحذوف بالشرطة الرأسية فوق (التاء) مفصولة عنه.

فمـا هو الأمر الـذي اقتضى حذف (الألف) في هـذه الكلمة في جميـع مواضـع ورودها في القـرآن الكريم، سـواء كان المراد منها القـرآن، أو كتابًـا سـماويًا آخـر، أو كان المـراد منها غيـر الكتب السماوية؟

القاعـدة الكلية التي ذكروها في هذا الحذف، المطرد -تقريبًا- لحـرف (الألف) فـي كلمة (كتـاب) هي: أنـه رمز للقـرآن، وهو مسـطور في اللوح المحفوظ، أي إشـارة إلى الجانب الغيبي العلوي للقرآن، كما قال عز وجل:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾

(البروج: ٢١، ٢٢)

هذا في القرآن، أما في غيره من الكتب السـماوية فلأن لها جانبًا علويًا قبل أن ينزل بها الوحي الأمين على رسل الله عز وجل.

نقـرب ما قالـوه في هـذه القاعدة مـن أن الكتب السـماوية لها جانبان، أو اعتباران:

الاعتبار الأول: هو العلوي قبل نزول الوحي بها، وبعد نزول الوحي بها؛ لأن الجانب العلوي حقائق في علم الله عز وجل لا يحيط بها علمًا إلا هو عز وجل.

أما الاعتبار الثاني: فهو ملحوظ صلة الخلق بما أنزله الله، فهم يقرءونه مخطوطًا أو مكتوبًا، ويتلونه منطوقًا بأصوات، ويتدبرون معانيه وهو بين أيديهم.

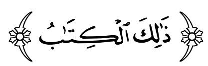
فالكتاب (القرآن) طرفه الأعلى: (اللوح المحفوظ) عند الله عز وجل، وطرفه الأدنى (المصحف المسطور) بيد الناس، فالمبدأ بعيد عنا نحن البشر، والمنتهى قريب منا.

إذا تمهد هذا، فإن حذف (الألف) من الكتاب أو من كتاب جعل رمزًا للقرآن في عليائه، أما إذا أثبت (الألف) في الكتاب -كما سيأتي- فإن المراد به هو الطرف الأدنى، وهو صورة القرآن التي نزلت على خاتم النبيين ﷺ فقرأناها مكتوبة في المصاحف، وتلوناها محفوظة في الصدور.

وحذف كذلك (الألف) من كلمة (كتاب) أو (الكتاب) أينما وقعت في القرآن الكريم، وسيأتي السبب في اطراد الحذف فيها إذا شاء الله.

تطبيقات وتحليلات:

ومن الخير أن نجري تطبيقات وتحليلات سريعة لبيان تمكن هذه القاعدة في بعض المواضع التي تقدمت، ولنبدأ بما بدأنا به منها، وهو قوله تعالى:



نجد علماء البلاغة في شرحهم لهذا التركيب بلاغيًا يقدمون

حولـه تفصيـلات دقيقة وكأنهـم يبينون هـذا المعنى الـذي ذكره العلماء في توجيه خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف :

●● فهذا التركيب مكون من جزءين :

- ذلك : وهو المسند إليه أو المبتدأ .

- الكتاب : وهو المسند أو الخبر .

فـالأول اسـم إشـارة إلى مفـرد مذكر بعيـد مكانًا عـن المتكلم المشير ، والقريب منه جدًا يشار إليه بـ(ذا) فإذا بعد قليلًا يشار إليه بـ(هذا) بزيادة (هاء) التنبيه ولفت النظر .

فإذا بعد بعدًا ملحوظًا ، وكان المشير والمشار إليه بينهما مسافة طويلة أشير إليه بـ(ذلك) بزيادة (اللام) ثم (الكاف) .

واللغويون يسـمون هذا (اللام) لام البعد المكاني أما (الكاف) فيسمونه (كاف الخطاب) .

أمـا الجزء الثاني (الكتاب) وهو المسـند أو الخبر ، فهو معرف بـ(الألف واللام) فصار التركيب كله :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾

والجـزءان معرفتان ، الأول لأنه اسـم إشـارة ، والثاني لأنه محلًى بالألـف والـلام كمـا تقـدم ، وفي الإشـارة إلـى القـرآن (الكتاب) بـ(ذلك) اسـم الإشارة الموضوع للمشار إليه البعيد المكان تفخيم وتعظيم له ، حيث إنه بعيد المكان ، وبعيد المكانة لعلو منزلته فوق كل الكتـب . ويخطو البلاغيون خطوة أخرى فيقولون إن مجيء هذا التركيب



معـرف الجزءين يفيد حصر معنى جنـس (الكتاب) حتى لكأنه لا كتاب غيره في الوجود؛ لأنه اجتمعت فيه كل الخصائص الرفيعة التـي تفرقـت في غيره من الكتـب فهو الكتاب الكامـل الذي ليس فوقه كمال فـي كتاب غيره، ولا يوجد هذا الكمال والرفعة إلا فيه، وفي مثل هذا المعنى يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: واعلم أنك تجد (الألف واللام) في الخبر على معنى الجنس ثم ترى له في ذلك وجوهـا: أحدها: أن تقصر جنس المعنـى على المخبر عنه لقصدك المبالغـة، وذلك في قولـك: زيد هو الجواد، وعمرو هو الشـجاع، تريـد أنه الكامل، إلا أنـك تخرج الكلام في صـورة توهم أن الجود والشـجاعة لا توجد إلا فيه؛ وذلك لأنك لم تعتدَّ بما كان من غيره؛ لقصـورٍ عن أن يبلغ الكمال، فهـذا كالأول فيٍ امتناع العطف عليه، فلـو قلتَ: زيد هو الجواد، وعمـرو، كان خلفًا من القول، يريد: أن هـذا التركيب الذي حصرت فيه معنـى الخبر على المبتدأ لا يتضح فيه أن تعطف ما يشارك المبتدأ في الاتصاف بمعنى الخبر؛ لأن هذا العطف يجعل المعطوف شـريكا للمبتـدأ الأول في معنى أنت قلت إنه مقصور عليه، ولا يوجد إلا فيه.

ومن هذا القبيل قول الشاعر:

إن الألـــى حـانـت بـفـلـج دمـاؤهـم
هـم الـقـوم- كـل الـقـوم- يـا أم عامر

يعني: لا قوم غيرهم.

ومنه قول الشاعر يمدح مقاتلي غزوة بدر الكبرى:

هـم الـرجـال، وعـيـب أن يـقـال لمن
لـم يـتـصـف بـمـعـانـي وصـفـهـم رجـل

أي : لا رجال غيرهم ، وهذا كله مبنيٌّ على عدم الاعتداد بغيرهم ، وإن كان لهم وجود في الحياة .

إذن فقوله تعالي :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾

وصف للقرآن بالكمال المطلق ، والمنزلة الرفيعة ، التي لا توجد إلا فيه ، وإن كان غيره له منزلة ، لكنها لا يعتد بها بالنظر لعلو منزلته هو ، وبلوغه شأوا لم يبلغه كتاب سواه .

فحذف (الألف) في (الكتاب) من قوله عز وجل :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾

لم يأت اعتباطًا ، وإنما هو رمز لتلك المعاني الرفيعة ، والكمال الفريد فيما أنزله الله على محمد ﷺ .

وهذا المعنى ملحوظ في الآيات السبع التي تقدم ذكرها وفي غيرها وهو كثير في آيات الذكر الحكيم ، الذي أريد من كلمة (كتاب) و(الكتاب) هو القرآن العظيم ، ويؤكد هذا كله ، ويرفعه إلى درجة اليقين الذي لا يقبل الشك قوله تعالى في الثناء على كتابه العزيز :

﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾

(الزخرف : ١ - ٤)

فتأمل جيدًا قوله عز وجل :

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾

يقول الإمام الزمخشري في توضيح ذلك :

(أم الكتاب) هو اللوح، كقوله تعالى :

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾

(البروج : ٢١، ٢٢)

سُمي -أي اللوح المحفوظ- بأم الكتاب ؛ لأنه الأصل الذي أثبتت فيه الكتب ومنه تنقل وتستنسخ، ﴿لَعَلِيٌّ﴾ : رفيع الشأن في الكتب لكونه مُعجِزًا من بينها، ﴿حَكِيمٌ﴾ : ذو حكمة بالغة، أي منزلته عندنا منزلة كتاب، هما -أي العلو والحكمة- صفتاه، وهو -أي القرآن- مثبت في أم الكتاب هكذا(٤٨) .

يعني : مذكور وموصوف في أم الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ هكذا بالعلو والحكمة ورفعة الشأن .

ومن قبله قال الإمام البيضاوي : ﴿لَعَلِيٌّ﴾ : رفيع الشأن في الكتب السماوية لكونه معجزًا من بينها .

﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة، أو محكم لا ينسخه غيره)(٤٩) .

ومن بعده قال الإمام الشوكاني :

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

أي : وإن القرآن في اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ أي عندنا ﴿لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ رفيع القدر محكم النظم لا

---

(٤٨) الكشاف (٣/٤٧٨).

(٤٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٨٠).

يوجد فيه اختلاف ولا تناقض[٥٠].

وهكذا يجمع المفسرون على أن ثناء الله على القرآن هنا باعتبار مبدئه وطرفه الأعلى وهو وجوده في اللوح المحفوظ، وهذا يناسب إطلاق اسم (الكتاب) أو (كتاب) عليه، وسوف نقف على سر هذه المناسبة عند الحديث عن إثبات (الألف) في كلمة (القرآن)، أو (قرآن) إن شاء الله.

وبعد ما قدمناه -على إيجازه- نرجو أن نكون قد وفقنا في توضيح أن حذف (الألف) من كلمة (الكتاب) أو (كتاب) -مرادًا منهما القرآن- مقصودٌ قصدًا لكتبة الوحي، وأن له دلالة ذات شأن عظيم.

إثبات الألف في (الكتاب):

تقدم أن حذف (الألف) مطرد في الرسم العثماني للمصحف الشريف، إلا أربعة مواضع أثبت فيها (الألف) وهي:

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾

(الرعد: ٣٨)

﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ﴾

(الحجر: ٤)

﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾ (الكهف: ٢٧)

(٥٠) فتح القدير (٤/٦٢٦).

﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾

(النمل: ١)

لم تحـذف (الألف) من كلمتـي (الكتاب) و(كتـاب)، وإنما أثبتـت، لأن الأصـل فيها (الإثبات) ومعـروف أن الذي يجري على الأصل لا يسـأل عنه، ومع هذا فإن العلماء بينوا لماذا جرى الإثبات هنا على الأصل فقالوا:

كلمـة (كتاب) في آية (الرعد) المراد منها كتاب الآجال فهو- إذن- معنى خاص.

وكذلـك فـي آية (الحجـر)، فإن المـراد بالكتـاب المتلو أجل إهلاك القرى الظالمة.

أمـا آية (الكهف) فإن المراد منه القـرآن من حيث طرفه الأدنى مقروءًا متلوًا بالألسنة.

وكذلك آية (النمل) فإن المراد منه الطرف الأدنى.

وسيأتي توضيحه عند الحديث عن إثبات (الألف) في (القرآن) أو (قرآن) إذا شاء الله.

إثبات الألف في (القرآن):

القـرآن معرفًـا ومنكرًا تثبت فيه (الألـف) ولا تحذف عكس ما عرفناه من حذف (الألف) في (الكتاب، وكتاب).

القاعـدة التي تحكم هذا التصرف، وهو إثبات (الألف) في (القـرآن) و(قرآن) هي أن هذا الإثبـات يُرمَز به إلى أن المراد هـو القرآن في طرفه الأدنى، أي المصحف المسـطور فيه آيات

الذكـر الحكيم، نقرؤها مخطوطة بأعيننا، ونتلوها مسـموعة بألسـنتنا، فهو متنـاول بين أيدينا: نقرؤه، ونسـمعه، ونتدبر معانيه، متمكنين منه، كما نتمكن من الانتفاع بضوء الشمس وطاقاتهـا الحراريـة، دون أن تنالهـا أيدينـا، وهي سـابحة في عليائها.

فالكتـب رمز إلى الذكـر الحكيم في عليائـه ولوحه المحفوظ، والقرآن رمز إلى الذكر الحكيم من قربه منا وتمكننا منه.

وهـذا ملحـظ لطيـف؛ لأن كتابة أي شـيء تكون سـابقة في الوجود علـى قراءته، فالناس يقـرءون (المكتوب) ولا يكتبون (المقروء) وإلا كان ذلك تحصيل الحاصل، وهو باطل في حكم العقل.

نماذج تطبيقية على ما تقدم من آيات الذكر الحكيم:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

(النساء: ٨٢)

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

(الأعراف: ٢٠٤)

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ

يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(يونس : ٣٧)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(يوسف : ٢)

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾

(الحجر : ١)

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾

(الإسراء : ٩)

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾

(طه : ٢)

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾

(الفرقان : ٣٢)

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (يس : ١ ، ٢)

﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ (ص : ١)

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ (ق : ١)

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (الرحمن : ١ ، ٢)

﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾

(الجن : ١)

﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾

(المزمل : ٢٠)

﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾

(القيامة : ١٨)

هـذه عشـرون مـرة أثبـت فيها (ألـف) بعـد الهمزة فـي كلمة (القرآن)، و(قرآن) والسؤال: لماذا اطّراد إثبات (الألف)؟

والجواب:

هو رمز إلى المعنى الذي ذكرناه من قبل، وهو أن المراد من القرآن أو من قرءان بإثبات (الألف) أنه هو كلام الله الذي نزل على رسـوله الأمين فحفظ في الصدور وتُلي بالألسنة، وسطر في المصاحف بعد نزوله من عند الله عز وجل.

وإذا طلبـت هـذا المعنـى مـن كل مـا أثبـت فيـه فـي كلمتي: ﴿ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ أو ﴿ قُرۡءَانٍ ﴾ ظفرت به دانيا بين يديك.

خذ إليك مثلًا قوله تعالى

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾

(الإسراء: ٩)

تراه ينصرف إلى الطرف الأدنى القريب منا؛ لأن الهادي يكون قريبًا من المهدي الذي يقتفي أثره، ويسير خلفه.

كذلك قوله تعالى:

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾

(المزمل: ٢٠)

تأمل فيه قرب المقروء من القارئ..

وكذلك قوله تعالى:

﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾

(البقرة: ١٨٥)

تجده ﴿ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الذي نراه مسطورًا في المصحف متلوًا بالألسن، محفوظًا في الصدور.

وكذلك قوله جل شأنه:

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ (يوسف: ٣)

لأن ما قصه الله علينا من أخبار الأمم الغابرة لم تكن لنا معرفة ولا صلة به إلا بعد نزول القرآن، وتمكننا من التمسك بطرفه الأدنى القريب منا.

ثم قوله عز وجل مخففًا العبء عن رسوله الكريم ﷺ:

﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾

(طه: ١، ٢)

لأن محمدًا ﷺ لم يَشْقَ في سبيل الدعوة إلى الله إلا بعد نزول القرآن.

وكذلك قوله تعالى جل ثناؤه:

﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾

(ص : ١)

لأن ذِكرَ القرآن ملأ الآفاق بعد نزوله، فقد كان غيبًا مكنونًا في علم الله.

مصداق هذا قوله لرسوله الكريم في الرد على مشركي العرب حين طلبوا منه تبديل القرآن في قولٍ له:

﴿ ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ ﴾

(يونس: ١٥)

فأمره الله أن يقول لهم:

﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾

(يونس: ١٦)

أي لو شاء الله ما أعلمكم بهذا القرآن.

وكذلك قوله:

﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾

(القمر: ١٧)

فإن تيسير شأن القرآن للذكر، لم يحدث إلا بعد نزوله، لا باعتباره محفوظًا مكنونًا في اللوح المحفوظ.

ومثله قوله جل شأنه:

﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴾

(الجن: ١)

فإن استماع النفر من الجن للقرآن من فم محمد الطاهر ﷺ لم يكن قبل نزوله وإنما كان بعد نزوله، والتمكن من تلاوته، وبعد هذه التطبيقات والتوضيحات لا نظن أن أحدًا يرتاب في صحة ما تقدم من أن حذف (الألف) من (الكتب) دلالة على أن المقصود منه هو كلام الله في طرفه الغيبي الأعلى، أي في اللوح المحفوظ، وهو جانب لم يطلع عليه أحد من خلق الله، ولم يكن أحد قد شاهده وهو يسطر في اللوح المحفوظ، وأن إثبات (الألف) في ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ وفي ﴿قُرْءَانٍ﴾ رمز واضح للدلالة على أن المقصود منه هو كلام الله في الطرف الأدنى، المتصلين نحن به: قراءةً وحفظًا وتدبرًا، وعملًا.

أما الموضعان اللذان جاء (الألف) فيهما محذوفًا من كلمة ﴿قُرْءَانٍ﴾ فهما:

الأول: في قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(يوسف: ٢)

والثاني: في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

(الزخرف: ٣)

ومن وصف فيهما (الكتب) بـ(المبين) وأن آيتي الشاهد ختم كل منهما بهذه العبارة

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

فالمباني والمعاني في الآيتين واحدة، ولم تفترق الآيتان؛ إلا في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ في سورة يوسف، و﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ في سورة الزخرف حتى لكأنهما آية واحدة كُررت مرتين.

فهل بعد هذا كله يقع في وهم واهم أنَّ حذف (الألف) من كلمة ﴿قُرْءَٰنًا﴾ في الآيتين جاء اعتباطًا خاليًا من الحكمة؟

* * *

الفهرس

* * *